

الحركة الشعرية

مجلة شعرية تصدر في المكسيك | تأسست عام 1992



2026 | العدد الرقمي (4)
آذار

الحركة الشعرية

لوحة الغلاف ولوحات العدد

للتشكيلي السوري عبد الله مراد

الحركة الشعرية

رئيس التحرير: قيصر عفيف
أمين التحرير: محمود شريح
الإخراج الفني: سومر عبد المولى

Mohamad Alaaedin Abdul Moula
Leuningerstr 31
30457 Hannover
Germany
mmalmawala65@hotmail.com

Kaissar Afif
Venustiano Carranza 119
Colonia Centro
CDMX. 06060
México
kaissarafif@yahoo.com.mx

الموقع الإلكتروني

www.alharaka.net

مَن؟

قيصر عفيف

(لبنان | المكسيك)

في الطريق إلى الوعي

نُعاني

تأكلنا الشكوك

ننام في أسرة الحاجة

ننعزل

نترك شواطئنا دون بوصلة

ونغرق في بحور الزمان الغريبة

لا نثق بأحد

ولا يثق بنا أحد

نخاف الطيور

ونخاف كلام الحكمة

نقع في شبك الصدفة

وتضيع أصواتنا في الحقول المنسية

لأننا أبناء الصدى والصدأ

أكلنا السكوت

لم نرفع الكلمة شعارا

ولا اتخذنا قصور المحبة ملجأ

لم تكن أوراقنا بيضاء بما يكفي

ولم تتعلّم الغوص
غطسنا وغرقنا
صلواتنا ثرثرة
لم تتخلّص من السّحر بعد
فما السرّ في غياب الجمال عنا؟
وما السرّ في اختفاء البدر؟

مَن الذي رَمانا في هذه البئر
في زلزلة هذا الزمان؟
لا ليل هنا ولا نهار
لا قبل ولا بعد
لا نعم ولا لا
نعزف ألحان الموت
وليس فينا ما يضيء

نسينا هرمس الهرامسة
وتذكرنا ابن تيمية
فيا ويلنا

مَنْ يرّم الكيان رشّوه بالمرارات
دمّروه بالمؤامرات
أين طريق الوعي؟

تنقصني الآن شمعة تحمل الأمل
تحفظ طاقة اللغة
وتدقّ باب الخيال

أرتقي بها أزمناً ضاعت
في ظلّ العواصف والخسارات
يحميها قرصان سيء السمعة
جاء من بعيد
حاملاً العواصف والحروب
كيف نرى دماءنا تسيل ونسكت؟
مَن يرمم الكيان دمرته الانكسارات؟
مَن؟



شظايا شعرية

محمد علاء الدين عبد المولى

(سورية | ألمانيا)

1

ما زال شيخ النمل يبحث في قمامته عن الرؤيا
ينادي هدهداً أعمى ويطلب من قراصنة الرياح نبوءة...
يؤازره مهاييلُ الطوائف من هنا وهناك.
يا شيخ اخلع عنك أقنعةً تليق بتاجرِ أفك
لنراك...

2

كتب الخريفُ على يديك صباحه
لا تسقطي معه كآخر ورقةٍ
هو شاعرٌ ينمو الزمانُ على ظلال رحيله
صفراءُ خطوته، ولكن بين عينيه السماء..
خضراء...
فاتّحدي بدمعته،
فقد تلدانِ موسيقى لموتى نائمين بلا غناء

3

فتحتُ لكِ النهر من ضقتيه
لتغتسلي فيه أكثر من مرتين
ويندم هيراقليطس على قوله ويعدله
ثم يرشق قربك شرشف زهر
ويدعو الحقيقة خلفك ساجدةً سجدتين...

4

ما بين آونةٍ وأمكنةٍ تهاجر في مخيلتي،
أحاول ضبط هذا السيل من ألمٍ نشيط القلبِ
لا تقوى عليه قصيدةٌ أو أغنيةٌ
ما بين كارثةٍ وجارتها،
أقولُ لبعضي المفضول عن بعضي: تغيّرت الجهاتُ عليكَ
هل ما زلت تحلم بالرجوع إلى ضفاف النهرِ في حمص (العدية)؟

.....

لا أرددُ ولا أشدّ الحبلَ حول نقائضي، لكن أهدهدُ ذئب أسئلتني بأن
أمتدّ في اللغة الجموحِ كأنني معنى وليدٌ من سراب
ما بين مجهولٍ وآخر
ليس لي عملٌ سوى محو الغياب...

5

نجمٌ يقود إمامًا في قصيدته
ليسرح اللحنُ مغموراً بثورته
اثنان دارا مع الأيام دورتها
وهدّما صنم الطاغوت، فارتفعا
فوق الحدودِ سماءً لا قيود لها

وزخرفا جسد التاريخ بالنور
اثنان صاراً نسيماً في المزامير...

6

نظر المصوّر في خراب مدينتي
فاحترار كيف يجمّع الأشلاء
هذا طريق طفولتي، هذي بقايا
مقعدٍ أنشأت فيه سماءً
وهنا هنا ما زال صوتُ يمامةٍ
يمشي على سطح الكلام مساءً
وهناك برجٌ كنيسةٍ بجوار مئذنةٍ
يذيبان الجلال صفاءً
في هذه صليبتُ سرّاً، ثم من
رعي سكنتُ القبة الخضراء
الآن هذا كله متبعثراً
مثلي، كلانا جامعُ أجزاء
هذي بلادي لقطةً عديمةً
شربتُ حكاياتِ الظلام دماءً
فإذا اضطربتُ أمام جمع خرائبي
خذ صورةً شعريّةً خضراءً
لا أقبلُ استغراق قلبٍ يائسٍ،
لا بدّ أن نصغي إليه غناءً
هذي بلادي مريمٌ أبديةٌ
ستظلّ تنجبُ خالقاً وفداءً



قصائد

ناريمان حسن

(سورية | تركيا)

1

رغبتُ في الحقيقة
لكن في داخلي كانت كلمة حديقة تتردد،
بأشجارها، وعصافيرها،
وألعابٍ صغيرة تُنسي روعي صرامة عالم الكبار.
ومع ذلك لم تأتِ إلا الحقيقة
حادة، قاسية،
تلمع نحوي كسيفٍ مجرّد.
مشيت ببطء،
والأوراق اليابسة تتناثر
أعرف أن الخريف
قد حلّ أخيراً،
وأيامي تنحني شيئاً فشيئاً لظله
راودتني رغبة عميقة في الهروب
في نومٍ يمتد طويلاً
بلا يقظة...
قبل أن تمتد يد أبي نحوي
أمسكتُ بها أولاً

شَدَدَتْهَا إِلَى صَدْرِي وَقَبَّلْتُهَا
كَأَنْنِي أَرْجُو الدَّفْعَ
أَنْ يَطْوِلَ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْمَحُ بِهِ الْوَقْتُ
تَشَبَّثْتُ بِهَا مِنْ جَدِيدٍ
مَتَذَرِّعَةً بِأَنْنِي أَهْرَبُ
مِنْ بَرُودَةِ الطَّقْسِ لَا الْعَالَمِ.

2

كُوبِ حَلِيبٍ دَائِقٍ مَمزُوجٍ بِالْفَانِيلِيَا
هَكَذَا بَدَأَ الْمَسَاءَ
رِسَائِلَ بَرِيدِيَّةٍ كَثِيرَةٍ تَنْزَلِقُ
مِنْ بَيْنِ يَدَيِ
لَمْ أَمْنَحْ أَيَّهَا مِنْهَا جَهْدًا كَافِيًّا.
أَعْرِفُ أَنْنِي مَتَعَبَةٌ، وَتَعْبِي لَيْسَ
جَدِيدًا عَلَى الْإِطْلَاقِ
أَصْوَاتِ الْآبَاءِ
بِقَلْقَهُمِ الَّذِي لَا يَشْبَهُ سِوَى الْمَقْصَلَةِ
تَنْحُتُ عَمِيقًا فِي أَعْمَاقِي
الْمَدِينَةَ عَلَى عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهَا
وَلَيْسَ مَهْمًا
إِنْ كَانَ الْقَمَرُ نِصْفَ مَكْتَمَلٍ
أَوْ كَمِ نَجْمٍ لَامِعٍ يَلُوحُ فِي الْأَفْقِ
الآنَ تَكَادُ تَنْطَفِئُ
فِي غُرْفَتِكَ، دَاخِلَ أَفْكَارِكَ الْقَاتِمَةِ
بَيْنَمَا تَسْتَحْضِرُ
رَمْزِيَّةَ كَرْنِفَالٍ بَعِيدٍ

لامرأة بعيدة
أخذت كل ما تكّته تجاهها إلى الداخل
نسوة عاريات تتردد في المجلات
وتتسلل عبر متصفحك
تنتظر المطر
وتعاود انتظارك
ولا شيء مما سبق يعود
أو يعيدها إليك.
أمام النافذة
كل ما يموت
يموت إلى الأبد
أبطال الروايات يواصلون موتهم
منذ آلاف السنين،
لن يصدقك التنويري
لو قلت إنهم يواصلون العيش خلف الستار،
داخل رأسك
على خطوط يدك
الأمس ماتت أوفيليا
وكل يوم تموت امرأة
تعجز عن إقناع العالم بالرهافة
والمرهفين.
كوب حليب بارد ممزوج بالحزن
ومساء يوشك على الانتهاء
حريق يعتلي شرفة الجارة
والجواز مهما ارتفع لا يرمم شيئاً
بائع الكحول يعرف

أنه يمرر لحظة اعتراف مخزية
لرواده، لذا يغرقهم بالنكات
الغريب والقريب متساويان
ولا أحد منهما يفك نزاعك
كلاهما يبدعان في إغراقك
وفي الصباح التالي
سيحمل القبطان الأزهار
إلى مراكب أخرى
لأشخاص لا يعترفون إطلاقاً بأنهم حزاني.

3

تلك الليلة
عبرتُ الممر وحدي
النجوم كانت تتلألأ في السماء
تخلف وراءها بريقًا واهبًا
يكفي فقط لأن أتابع ظلي
منزلًا فوق البلاط الخارجي
أطارده ويطاردني
وكلما أرهق أحدنا
تولّى الآخر المهمة
كما تتناوب نحن والوحدة
والحزن
على استهلاك بعضنا
وسأظل أقول: البلاد
ولو شُيِّدت ألف بلادٍ بعدها
سأقولها بغم مثقوب بالقروح

والدم
بقلب معتوب
وبجراحٍ أذليةٍ حملتها
عن نفسي، وعن إنسانيتي
وعن أسلافي جميعًا.
تلك الليلة عبرتُ الممر
والذين كانوا ينتظرونني
في آخذه
نفيئهم...
لا تعمّدًا
بل كأسرى تُركوا معلقين
خارج نافذةٍ من الصقيع
ورغم محاولاتي كلها
عجزتُ عن جعلهم شيئًا حقيقيًا
غير دمي ثلجية
وكلما دحرجتهم
ازدادوا صقيعًا

4

في غيابك
كل بيت يحترق هو بيتي
وكل خلل في الطبيعة
يفضح خللي الشخصي
كنتَ تقول لي:
إنك تحترقين حتى النهاية
كشمعة لا تؤمن بأبدية الظلام

تهدرين الليل كله
ثم تصيرين دخانًا
رمادًا
وبقعةً صغيرةً
يكسرهما الضوء إلى مئة شظية
ولا يلملمها
سوى نهار جديد.
الآن
أحترق لبرهة فقط
ولا يبلغ احتراقي ذروته
يظل مشوّهاً
غير كامل
وأمضي كجسد ميت
لا يعود لهيئته
ولا تتصالح أجزاءه مع بعضها
الأيام قصيرة
ولا أعرف على عتبة أيّ أسطورة
تكسرت أيامنا
ولا كيف واصلنا السقوط
دون أن ننتبه
إلى أننا كنا نحترق
من اتجاهين مختلفين

5

وماذا يتبقى بعد كل ذلك؟
تجرّ عباءة الظلام

حتى نهايتها
قلبك لا يزال رافصًا
قلبك لا يزال يؤمن
بحتمية انقشاع الظلام
مهما جرّ معه، مهما نفى، مهما حصل
يؤمنُ بالضوء مرتديًا
بياضًا لانهايتيًا
يمتدُّ من أقصى الشمال إلى الجنوب.
لا نرى معًا الاتجاه ذاته
الضوء الذي تراه
يبدو مختلفًا في جوهره
عن الذي أوّمن به
الظلالُ خلف الأشجارِ كثيفة
والوقوعُ في حفرةٍ تليها
ليس بخيارٍ مستبعد.
ومع هذا نمضي...
غير آبهين هل نتبعُ الضوء؟
أم نوقعُ بيانًا خفيًا
ضدنا؟
تتبدّلُ الملامحُ من حولنا
الصمتُ هنا أكثرُ أصدقائنا وفاءً
وفي أعماقنا وميضٌ ضئيل
كأنه صدى لأناسٍ عرفوا
الضوءَ بطريقتهم
أيضًا
ثم اختفوا في ظلام غير مرئي.

يا لهذا الطير البليد
 ينفي شائعات نهاره الأخير
 ورحيق أيام ابتلعها
 على عجلٍ...
 جناحاه واهنان
 وآثار أنيابٍ قسمت صدره بوحشية
 رأسه منحني إلى الأسفل
 وعينه لا تزالان تستنجدان
 آه، لو استطاع إخفاء حزنه الرقيق بجناحيه
 لو لم يسقط كاتحاريٍّ آفلي ينكر أفولَه.

عرفت أحيانًا
 أن طريقي سيكون مظلمًا وباردًا
 ولم يكن يعنيني منه
 سوى أني سأعيل نفسي
 وأمشيهِ
 عرفت إني سأهجر
 ولن آخذ من قساوة المدن إلا الهيئته
 الخارجية الظاهرة
 عرفت أني
 سأعتاد القسوة
 الموت
 وعدم الخوف، وأن المرة الأولى
 التي سأواجه فيها الخوف

سيكون دائماً
كم لو أنني ألغي عادة سيئة من روتيني
عرفت أنني
سأقول الكلمات اللطيفة
لكل من أقابلهم،
لربما ذات صدفة
تقع على مسامع من تفتت قلبه على الطريق
ورغم بشاعة كل ما عرفته
ظل لدي يقين دافئ،
أنه ليس بالضرورة أن يكون كل شي يدور حولي
ربما يدور بالفعل
في دائرة الآخرين
في جوهرهم وفيما يظنون أنهم عرفوه جيداً

8

قلت ذات يوم
إن قلبك بكل عروقه الخضراء
لن يرضخ لأي خريف آتٍ
وإن الكدمات كلها تمحى
وغربتك عن ديارك تُستبدل بأخرى
لكن تبين لاحقاً أنك كنت ثملة
بسذاجتك، لا بالنبيذ
قصدت كل الأماكن
أخبريني كيف يحتمل المرء مرارة
أن البيوت التي قصدها لم تكن بيته؟
وكيف يحتمل كلمة

تُطلق على كل النسوة وتقصد بها أخرى
تغيب بصمتها عن قلبك؟
هل سئمت قلبك وهو يتفتت إلى مئة قطعة
ولم تقتنعي بعد أن لا أحد
يجتاز العتبة
وأن غيابها جارح
وإحياء ذاكرتها عبر أخريات
أشد جرحًا؟
كيف تشعرين الآن
وأنت تحديقين في سقف غرفتك
محاطة بأشباح نومك
المطمورين في غياهب جحيم مضلل؟
قلتِ إنك عاجزة عن استبدال السيناريو
أبقيت الحبكة غامضة وجنونية
وها أنت تتشظين كحيوان جريح
في غياب القوانين
البارحة أبعدت نظرك عن جارك
حين أشعل لك ولاعته وأطفأها مرارًا
فالآخرون قبله أدوا الخدع البصرية ببراعة
وسلكوا كل الحيل لاستردادك
وها أنت الآن ترينهم جميعًا، وتقصدين ذاتك
قصدت كل الأماكن
لكن أخبريني كيف يحتمل المرء مرارة
أن البيوت التي قصدها لم تكن بيته؟
وتنذفين بين جدران شارع غريب مقفر
لأن القلوب التي قصدتها أشد قفرًا

وعزاؤك أنك غير مرئية
وجروحك بلا شهود

9

في البار البعيد
حين كان العالم ينهار في رأسي
والحزن يقطر في روحي كندم قديم
رفعت كأسك نحوي
كأنك تقول: لا بأس، اشرب الألم معي.
ومنذ تلك اللحظة
لا أدري أين بالضبط
سقط قلبي،
لكنني ما زلت أسمع صداه.

10

ننسى كم كان بديهيًا أن نحيا
أن نعود وبين شفاهنا سجاثر لن نشعلها
وقوارير كثيرة من الويسكي
نأخذها لما بعد الساعة العاشرة مساءً.
نكون مستائين حينها، وهذا الشراب الروحي
يجعلنا نستبعد الأفكار الانتحارية
التي تحزّ رقبة الحلم فجأة.
أريكة واحدة شاغرة في ظهيرة صيفية
تعني نجاتك الشخصي من فعل الارتطام المفاجئ
رسائل يتركها الأصدقاء في الطرف الآخر
تنقذك من ذبحة صدرية محتملة.
قبلة يضعها المحبوب على عظم ترقوتك

تفجّر عالمًا ساحرًا بين سردابه.
كلمات ترتطم فجأة بقفصك الصدري
تتمكن معها من اكتشاف أنه بإمكانه
إيواء عصفور، فراشة، أو لربما جثة.
هذا يعتمد بشكل أساسي على عمق الكلمة
وتأثيرها.



قصائد

أمل عمر

(السودان | أمريكا)

1

أول مرةٍ شهدتُ سقوطَ الثلج
خالجني شعورٌ مهيبٌ جعلني أرتجف
تلك النعومة
ذلك النقاء
الريشُ الأبيضُ
والقدرةُ على إحداثِ الضجيجِ دونما صوت.
ذاتُ الشعورِ أحسسته معه
الأشياءُ نقيّةً وناعمةً
وتصرخ
دونما صوت.
*

ينبغي أن تلغي القُبلةُ العالم كله
أن تقلبَ تاريخَكَ راساً على عقب،
وإلا
فهي طقسٌ عاديٌّ من طقوسِ الحُب.
*

الشفاهُ تضيّقُ الخِناقَ على الشفاه
تُشايكُ أعناقها الطويلة

تفتُحُ البابَ على مصراعيه
لتدخُلَ الحرية.

*

قُبُلْتُهُ،
قِبْلَةُ البحرِ لمقدمةِ سفينةِ
عنيفةٌ، لكنها لا تَجْرُحُ الماءَ
تمرّ كالعطشِ على الحلق
تتركُ وراءها
أمواجاً تتذكر اللحظةَ
عمرًا بأكمله.

*

هناك
البكاءُ والضحك
لَهُمَا ذات المعنى.

*

بعدَ قُبْلْتِهِ، لن أتَعَفَّنَ
لن أبالي إن نَسِيَنِي العالمُ
داس على قبوري
بالنعال والسيارات الكهربائية.

*

شحمة الأذن
بقعة صغيرة لا أهمية لها في علم التشريح
لكنها مكانٌ مثالي
للهمس
للقُبَلاتِ وللأقراطِ اللؤلؤيَّةِ

2

في هذا الزمان
يمكنك مغادرة البيت صباحاً
دون أن تصطحب قلبك.
اتركه في الثلجة،
تحت وسادتك،
في خزانة المقتنيات الثمينة
أو قفص الطيور.
لن تحتاجه على أيّ حال
فهناك،
بالخارج،
المحفظة أهم
والمشاعرُ عملةٌ خاسرة
لا تنافس
في البورصة.

3

-الأحذيةُ التي غادرها أصحابها فجأةً،
بقيت وحيدةً على العتبات
تحدّق في الفراغ
تسترق صدى الخطوات
وتنتظرُ أقداماً
لن تعود.
-لقد أخذهم الموتُ على عَجَلٍ
أطفأهم
كما تُطفئُ الريحُ الشموعَ على أبوابِ كنيسة

لم يُمهلهم الوقتَ لينتعلوها
فمَصَّوا حفاةً
إلى أمكنةٍ لم يعد منها أحد
حيث المحطة الأخيرة تُدعى الغياب.
-هي أحذيةٌ مسكينة
كُتِبَ عليها أن تشيخَ على العتبات
تُحادثُ الغبارَ عن أقدامٍ كانت تحبُّ الحياة،
ولا تدري لِمَ تُركت وحيدة
لِمَ هُجِرَتْ؟
-اليوم،
أضافَ الموتُ حذاءً جديداً إلى عتباتِ دارنا
حذاءً عمي الذي ماتَ بقذيفةٍ
لا لشيءٍ،
سوى أنه اقتترفَ الفضولَ
في مدينةٍ
محظورٍ فيها التجوُّلُ
إلا للجوعِ
وللقذائفِ
والمليشيا.

4

يا رب النسيان..
حين يمر على جسدي تسعون صيفا
وأبلغُ التسعينَ مثل جدِّي
يوم يلتهمُ الزهايمر الوجوه،
استثنِ وجهَ حبيبي، تكزِّما

لا تلمسه،
دعه يطلّ على أيامي بلا انقطاع
مثل لعنةٍ ناعمةٍ
تلاحقُ روعي إلى الأبد.
-لا شيء يُغضبُ النسيانَ
مثلَ ألبومِ الصور
مثلَ الأغنيات
ورائحةِ طعامٍ اقتسمناه منذ عشرين سنة
معَ شخصٍ نحبّه.

-قالت لي امرأةٌ مسنة
جلست بقربي في القطار
بينما تتأمل الفراغ عبر النافذة
(نحن لا نموت إلا حين ننسى وجوهَ من أحببناهم).

لذلك،
أتصفّحُ ألبومَ الصور كل مساء مثل كتابٍ مقدس
أتَهجى الأسماءَ سرّاً
أستحضِرُ نكهةَ القهوةِ و همسِ الاغنيات.

5

يهرمُ الإنسان
حين يتوقف عن الرقصِ على حدِّ السكاكين،
ويخاف أن يفتح أفواه الوحوشِ
ليحصي أسنانها
يختبرُ قدرتها على إثارة الألم.

يهرمُ
حين تكفُّ الأشياء اللطيفة الصغيرة
عن مداعبة روجه
عن إشعال شهيته للتأمل
ودفعه إلى فعل أشياء مثيرة
مثل الكتابة

يهرمُ
حين يخجلُ من لعق الحلوى علناً
ومن الركض خلف طائرة ورقيةٍ مراوغة
وطرق أجراس الجيران
والاختباء خلف شجرة.

يهرمُ الإنسان
حين يكفَّ عن الأسئلة
وعن تحيّل الغيوم كائنات خرافية
وصنع أسماء لها،
بلغاتٍ خيالية.

وحين يختبرُ كلَّ أوجاع الدنيا
حتى
لا يعودُ هناك مكانٌ في قلبه
يخلو من طعنة.

حين تصبِّحُ فتيات الأحلام نساءً ثرارات
يقشّرَن البطاطا،

يلمّعن النوافذ
ويلعنّ فوارسهن السابقين.

والفوارس يصبحون رجالاً
خذلتهم الدنيا
حبستهم في ركنٍ ضيق
اسمه الواجب.

نحنُ نهرم
حين ينكسر الغصن اللين
الذي كان ينحني
حين ننحني
وُتُصيه السنوات
بالتصلّب اللوحي.



يوميات

محمد طيب شلار

(سورية)

1

هي واحدة

فدع الحديث بغير نفي

إن لاءك زائدة

نعم إذن

كل الرؤوس على النوافذ

جامدة

هي جثتي

تمشي على مهل

وعينك باردة

هي واحدة

ماذا تؤمّل من يد

هي خنجر في الظهر

تكذبُ

والأصابع شاهدة

كم ذا نقلب في الوجوه الساجدة

لم تبق أسماء لترمى

لا ملامح في كتاب الموت
لا شكوى
يا أمنا
هي واحدة
ويد بلا كفّ تودع أختها
في العين تمسح دمعة
ترنو
وتبقى جامدة
هي واحدة

2

وحدي
أوزع أحلامي وأوردتي
فتشرب الشمس من نسغي
ومن شفتي
معجونة بغبار الطلع قافيتي
ومن دم الليل يعدو هائما
أبتي
لا تترك الأرض لي وحدي
فقد محيت
هذي الحدود
وكفي بعض خارطتي
الحالمون أنا
والهائمون أنا
والحب لي لغة
والشعر أغنيتي

3

هل ترى ظلك يعدو ،
أتراه
كيف يبدو ؟
أعطني سوطاً ومهمازاً ،
وخُذْ ظلاً جميلاً ،
يرسُمُ الفرحةَ في اللاشيءِ،
يستجدي القتيلاً .

4

أتدري أن هذا الليل وحش
وأن الشمس غافية بفيه
إذا ما افتر يضحك عن غياب
تفلت قيدها مما يليه
فتطمس ركنه الأعمى وتسري
لتمسح ما توزع في بنيه
فلا ظلم يدوم على نهار
لأن الشمس أم تحتويه

5

هل يأتي ؟
لا تنتظروا
لن يأتي
_ والنائحة الثكلى في أبواب

الخطابين ؟
_ أعطوها طاسة ماء
هل يكفي؟
لن يأتي
ودم في كفيها
ما زال ينز دماء
لن يأتي
موت يتراكم كي ننسى
لن ننسى
لن يأتي
اجعله دثارا
وغطاء
يا أبتى
هل نخرج من باب واحد
أم كل الأبواب سواء
منفى
ضع رجلك في أول درب
سيقود خطاك
لن يأتي
لا تبكي
فالدمع هباء
مازالت ليلي تبكي قيسا
عجبي
من أيقظها من نوم العسل
هناك
النائحة الثكلى

أعطوها طاسة ماء
لن يغسل هذا الحزن المترامي
ماء
لن
ننسى
ننسى
ننسى حتى الأسماء
6

أوقعنني يداي
ممسكاً بالذي مرّ من شرفتي
لم يكن طائري
كيف لي أن أرى شارداً
من صباي
يحتسي قهوتي
ثم يرمي عصاي
كيف لي أن أرى
يا خطاي
7

أستغفرُ الشعرَ ما حملتهُ احتملا
وإن نضا عنه ثوباً زائفاً عجلا
يساقطُ الوردُ ما أكامهُ اكتملتُ
ونشربُ الوردَ تسنيماً إذا اكتملا
يا زارعَ الورد لا تقسُ على فنن
فإن أجمل ما قد صُغته سهلاً
.....
كتاب الليل قد أعيك كسفا

وقافية الخليل تميلُ زُلْفَى
تراوُدُهُ على أَمَلٍ فيأبَى
إذا ما الوجدُ عَزَبَدَ أو تخفَى
وإمّا تستكينُ لك القوافي
صففتَ لها كؤوسَ العشق صفاً

8

أغلقت صفحاتي
ونمت
وتركت عند الباب مفتاحاً
ومصباحاً
لمن يأتي
فقد هرمت يداي
وتضاءلت أحلامي الكبرى
وتقاصرت عني خطاي
فخلعت أسناني
وأذاني
وقلت
النوم أحسن ما فعلت

حمصيات

1

حمصُ
وتأخذني إلى قلبي أخادعهُ
فأخذعهُ

فتنُسُرُنِي فَجَائِعُهَا
وتطويني فَجَائِعُهُ
مَوَاجِعُهَا .. مَوَاجِعُهُ
مضى يتلمَّسُ الجمراتِ قد يبستْ أَصَابِعُهُ
فيا جُورِيَّهَا المَغدورَ قد سالتُ مَطالِعُهُ
مَعَ العاصي ...
على ناعورةٍ حنَّتْ مدامِعُهُ
تذكّرُ سوسناتِ الدارِ
تتلوهُ وتجمعهُ

2

ها أنتِ ذي تتنفسين هواء حمص
وتشربين الشاي تحت الياسمين
وتركضين
من باب تدمر للكتيب وتقرئين الشهادات على قبور الراحلين
الخالدية غير ما رسمت يداك
وغير ما تتذكرين
وابن الوليد بحضن حمص
كما عهدت
وسيفه ماضٍ وإن صدت حوافيه
على مرّ السنين
ها ركعتك على بساط العز
قرب سريره أمل
تجدد باليقين
الباب مفتوح
فما وقفت يداك على رتاج

تصعدين وتنزليين وتسألين البائعين
فترفضين وتقبلين
من أي باب تدخلين
هي حمص تعرف أهلها
في كل درب شرفة للشوق
يرسمها الحنين
لا تنكريها لا
لا تقرئها في وجوه العابرين



قصيدة

كارلوس الباشا

(السودان)

إلى القديسين لاتينوس وبهنس
وأنتم هاهنا وهناك في المجهول

إلى الذين خبأوا أصوات حوائجهم
على أجنحة صدى
كانوا يؤيدون الأمواج
التي تختبئ على أقمشة النهر
والعائدين من البحر
كانوا يريدون أن يندفع الموج
إلى زبدة رمال الشاطئ
لكي ينشأ لهم جسرٌ واحد من متاهات المنافي
لم يسألوا أبداً
أبداً
كيف أنشأ البحر جيوشها
منذ كم سنة
وفي أي فضاء اغتالت السماء
زعانف الخلود؟
ولم يسألوا أبداً
عن سيرة القديسين
الموج والبرد

لاتينوس الذي جعل البحر يبكي
بلا توقف
كان بيني ووطناً
في قصائده
لكن البحر أى الموج صنيعه
الرب
حاضر الزمان والمكان
نكبة بعضها نكبات
لتتعري البحار من أزليته
بهنس الذي قبل زمهريرا
وذوبه على حدائق قلبه
كان يحب الرصيف
كما لو أنه وطنه الذي خذله
لكن ثمة موت عجول
يأكل الروح و يمزغ في الأفراح
سأكون ثالثهما في فجيعة
على دروب المنافي التي كتبتُ عنه كثيراً
وسأموت من اختناق رئة
وأصير بلا قناع لقداسة الإنسان
روحاً آخر سوف يعلن تمرده
ضد الطبيعية إلهية
(روح كارلوس)
قهقهة بشرية ضد السكر
وعلى صدف الصدى بنفسه
سأتابع أثر الهواء
التي خبأت صغارها قبل أن تنزلق

رغوة النبيذ على الكأس
وأيضاً لم يسألوا أبداً
لكنهم أخرجوا مناديلهم كي يبكوا
على مهل... على مهل
في ركن ضيق لا تتسع سوى دمعة واحدة
لينهار البحر أكثر... وأكثر
وليدثر اللغة من أثواب عجزها
أمام الأحزان
في جدائل الأدنون، جلجخان البدوي
عبثاً من الله
ليرثي البحر موتاهُ
و الأرواح التي لم تزل عالقةً
على أجنحته
وصرنا نجدف دهايز
بالحنين والآتين
المسعود على الشوارع والمقاهي
والمسطبات التي تختزل
لدروس الفضائح البشرية
ولم يسألوا أبداً
عن ريح يجوب شوارع
ويمضغ نصف جدار يطل على مقبرة منسية
(منفى ووطن)
وتوزعنا كالهواء
وتبعثرنا كالرماد على أشواك المنافي
وغربة الروح الأليمة
النائمة على جدور المظالم

التي تكسر أعين النوافذ
والتي تشاهد في الخراب
وطقوس الجنائز منذ اندلاع الحروب
ومشهداً بانورامي يعيد
للأرض ما فقدتها
من حروب وخراب
قد جعل النهر يتوقف على جدار الموت
ولعنة القصاصد
ولم يسألوا عن أي شيء
يدل على معنى
لكي يقلدوا المزامير التي افتتست
روح الشيطان
لكنهم أحرقوا جثة الناي
ورسموا على أضرحة النايات
أخطبوطا يخاطب الموتى
في قبورهم
ولكما أتما في خلودكما
عن خيبة الأوطان والمنافي
لم تزل تمارس تعويذة الموت الجماعي وتشرذ
واغتيال الأمنيات
وأحلام الصبايا في صنديق التباهي
بالإنسانية
وأترحم على روعي قلقاً ضد غرق الرثة

يوغندا، بيالي 15 ديسمبر 2024



خصال الماء صيد النسائم

بادر سيف

كمن يتوهم عودة لمنتجع الصمت
هكذا يودعني طيف
المعاني

كلما نصب هدهد الفجر بفجاج
الغيم

شراك لخصال اللذة

ليؤنس مصائد لأتداء الزمن

المتهاك بثواني الزمن

لتخرج تماثيل الظل مساء

لباحات الرمز

تلسعها نسائم المنع

/ الاشتياق...

هكذا يلوذ الوهم بشجر المحنة

يرص كراسي من زجاج الماء

وفق تعرج لصوت الموج

يبسكن دفاتر الشهوة

النافرة للحم الذكر

وهو يقلم أظافر الطيش

---عرفت غيمة الشرق

الباسمة

المتوهجة

بكؤوس الراح

أهدي لمواضع النصل مروحة

من جلد تمساح أعرج

بتعاويج

من صوت الفخاخ

أحك حرارة الحكمة

دشم الأصوات، تستقيم مباحج

الانثى

الولادة لقلوب الظفر
وعظام الدهشة
...أيتها الأسماء المهاجرة
الى مرابع الصيد
صيد السيول المنهكة
لشجر اللوز
ليس بينك و بين حوض التاريخ
سوى لوثة تتطاير
ببياض الكتب
و انت رقعة الهلاك
ترجمان الكياسة بزوادة الريح
المشاكسة لبهلول
الاحواض
أيتها الأسماء المضمرة بكناية
الطيش
لما البكاء على رابية تخلت
عن طائر مشوي برماد الهجر
وأنت الحب
سيل الشبع
ثوب طاووس يفتت خيلاء حضوره
فإن اشتھيت مطر الشفاه
أو اكواب الصيف
فستمطر نساء من غنج الأيام
سهام تكلم الأزرق المهجور
جرم البكارات الطاهرة
يستقيم عود النار

كلما شحذ الهدهد منقار اليم
عنق التاريخ
ورعد الجهات المنسية
أيتها الأسماء الشاهقة كقصور
من تراث النوادي
تعالى نسكن مضارب الالحن
وشوشات الليل
المعيد لتسانيم من جرم الغياب.



يدسُّ في جلدي كأساً من الرغبة

هند زيتوني

(سورية)

-أبحثُ في كُنْه الأشياء

وفي كينونة الزمن النائم على سرير الألم

أحاول أن استردّ

ما سُرقَ مِنِّي
ما نُهبَ من براعمِ سعادتي
وما سقط في قطارات الزمن وعلى أرضفة التيه
أدورُ حول أرضٍ واقفة على قدمٍ واحدة
وشمسٍ تنامُ بعيون مطفأة
تبتلعني القسوة وينهشني العطش

أنا قمرٌ مُتعب
أنا شفاقةٌ كالماء سريعةٌ كالنار
في عيني الثالثة
تنام القصائد على وسادة الحلم
ويظلُّ قلبي مشتعلًا بالنزق
روحي مسجونةٌ في برجٍ عاجي

هذا العالمُ
يملكُ عينين مجروحتين
يملكُ فماً مشقوقاً
صوتٌ مغتصبٌ ملفوف بالكدمات
حاولتُ أن أدسَّ
في جلده الأزرق كأساً من الرغبة
صفعني وأطلق الرصاص على الحُبِّ
قتلني بنظرةٍ قاسية
للعالم شبقٌ مجنون
لكنّه لا يؤمن بالزواج والعائلة

يتربّع الوجود فوق صدر المصادفة المشتعل
يتمرّع بين نهديها وينتظر انتهاء زخات الجسد
يقتلُ أبناءه الشرعيين واللا شرعيين
أماّ العدم فيشعل سيجاره الفاخر وينفثُ آهاته ببلادة
بيده الأخرى منديل مبللٌ بالغياب
ثمّة من يشكو من اضمحلال اللحظات النحاسية
التي تذوب بالنسيان

الاتجاهات التي تغيّر مسارها تبتلعها زاوية عمياء
الأيام التي تصطبغ بألوانٍ متعددة
لا رغبة لي في الحديث عن عودة الشهداء من الموت
أو من درب التبانة وهم يحملون مجرات أحزانهم
بيدهم مفتاح الفردوس، لكن الباب كان بلا قفلٍ.



يكاد يظأ بقدميه السماء

خالد أبو العلا

(مصر)

بالأمس

بالأمس فقط

أصبح لي صديقٌ في المنفى
لم يكن لطيفاً مع أحدٍ
كما لم أكن أحبُّهُ
إلا أنني تعاطفتُ معه
عندما وجدتهُ يبكي كرجلٍ مقهورٍ
فقد سقطَ □ اليومَ وطنُهُ من الخريطةِ
وانكسرَ
وما لبث أن بدأ
يَ ..
تَ ..
فَ ..
تَ ..
تُ.

لا شكَّ في أنه لا يدركُ
أن وطناً مكسوراً
يُمكنُ إصلاحهُ
يُمكنُ أن يلتئمَ مرَّةً أخرى
على خريطةٍ جديدةٍ بيضاء
لا أوطانَ بها بعدُ
تتمتعُ ببيكارَةِ الجغرافيا
ولها تاريخٌ مرِنٌ
ولا مكانَ فيها للمنافي.

سيدي، لا تحزنُ
خَفَّفْ عنكَ

فكلُّ شيءٍ قابلٌ للإصلاحِ
جفُّفُ دموعَكَ
صدقني، سيكون كلُّ شيءٍ على ما يرام.
رفعَ رأسه،
نظرَ إليَّ بمزيجٍ من الحَسرةِ والسخريةِ
قال:

هل انكسرَ لكِ وطنٌ من قبلُ؟!
هل جئتَ إلى هنا ووطنك معك؟!
أم نسيتهُ هناك
في خريطةٍ مزدحمةٍ بالمقابرِ الجماعيةِ والمنافي والسجونِ
والدعواتِ اليائسةِ بالصبرِ والسلوان؟!
غاطني ثباتُهُ
كما لم تُحرِّكِ فيَّ شعرةً واحدةً سُخريتهُ.

تركته يوغل في سُخريته
وانصرفت إلى شؤونٍ مؤجلةٍ
وأشغالٍ شاقةٍ
ووخزاتٍ تعاودني كلما تذكرت
كلما تذكرت فقط
وكنت أظنني نسيته
وأنتي صرت قادرا على إصلاحِ أي وطنٍ مكسور
ربما بقصيدةٍ
وربما بكلمةٍ واحدةٍ.

لم يحتمل صديقي
أو لم يعد يحتمل البقاء بوطنٍ مكسور

لليلة واحدة
في الصباح الباكر
وجدناه معلقا من رقبتة في جذع نخلة
متدليا للأعلى
يكاد يطأ بقدميه السماء
كان الوضع غريبا علينا
نحن الذين اعتدنا على رؤية كثيرين قبله
تتدلى جثثهم إلى الأسفل
وقد اختفت الأرض تماما من تحتهم.

في المساء
أنكرت أنه صديقي
عندما سألني المحقق متجههم الوجه متقلب السحنة
عما دار معه من حوار
وهل ذكر شيئا عن كلمة وطن
وبحكم معرفتي السابقة
وحكمتي في إدارة مثل تلك الأمور
أصررت على إنكاري لكل ما كان
وأخبرت المحقق
-وقد هدأت حدة صوته-
أن الرجل الذي يسأل عنه
كان مختلا عقليا
إذ أنه سألني:
هل مسموح لنا يا هذا
أن نمارس لعبة الغميضة؟!.



المطرُ كلمةٌ عسيرةٌ

عبدالهادي سعدون

(العراق | إسبانيا)

المطرُ كلمةٌ عسيرةٌ على الفهم
قرأتها في قصيدةٍ للسَّيابِ،
شاعرٍ عراقيٍّ لا أعرفُ عنه السَّيءَ الكثيرَ
لكنَّهُ، في كلِّ حرفٍ، يفتَحُ بابًا خلفيًّا للروحِ،

حَيْثُ الْمَطَرُ يَتَسَاقَطُ عَلَى الذَّاكِرَةِ،
 وَالْأَنْفَاسُ الْمُثْقَلَةُ بِشَوْقٍ لَا يَدُولُ.
 الْمَطَرُ، تِلْكَ الْكَلِمَةُ الَّتِي تَبْدُو غَرِيبَةً،
 كَأَنَّهَا مِفْتَاحٌ لِمَدِينَةٍ نَائِمَةٍ تَحْتَ الرَّمَالِ،
 أَوْ نَافِذَةٌ تُطَلُّ عَلَى حِكَايَاتٍ قَدِيمَةٍ،
 أَرْقَتْهَا الْمُبَلَّلَةُ بِحُزْنٍ مُسْتَمِرٍّ،
 حَيْثُ يُرَدِّدُ الْأَطْفَالُ أَسْمَاءَ الْأَمَاكِينِ
 كَمَا يُرَدِّدُ الْحُلْمُ فِي فَجْرِ ضَبَائِيٍّ.
 السِّيَابُ، ذَلِكَ الشَّاعِرُ الَّذِي لَمْ يَسْمَعْ بِهِ أَحَدٌ
 لَكِنِّي، أَنَا، عَرَفْتُهُ فِي قَصِيدَتِهِ،
 عِنْدَمَا تَلَاعَبَ بِالْمَطَرِ وَالْمَطْرُودِينَ،
 وَحَمَلَ عَنَاءَ الْأَرْضِ فِي كَلِمَاتِهِ.
 شَاعِرٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَرْجَمَةٍ
 لِأَنَّ هُمُومَهُ تَتَنَقَّلُ مِنْ قَلْبٍ إِلَى آخَرَ،
 بَعِيدًا عَنِ الْأَلْسُنِ،
 بُلْغَةً تَفْهَمُهَا الْعُيُونُ وَالْأَرْوَاحُ الْمُذْهَقَةُ.
 لَا أَحَدٌ يَعْرِفُ عَنِ السِّيَابِ شَيْئًا،
 لَكِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ وَجَعَ الانتظارِ،
 وَالشَّوَارِعَ الَّتِي تَعْكِسُ وُجُوهَ الْمَنْفِيِّينَ،
 وَالْأَصْوَاتَ الَّتِي تَأْتِي مِنَ الْأَعْمَاقِ
 وَتَحْكِي قِصَصًا لَا تَنْتَهِي.
 وَالْمَطَرُ، يَا سَيَابُ، لَيْسَتْ مُجَرَّدَ يَعْشُوبٍ
 إِنَّهَا مَسَارِحُ لِالْحَلَامِ،
 وَأَسْرَارٌ تُفْتَشُّ عَنْهَا الرِّيَاحُ فِي لَيَالِي الْمَدِينَةِ.
 وَإِنْ كَانَ الْعَالَمُ، كُلُّ الْعَالَمِ، لَا يَعْرِفُ
 فَإِنَّ رُوحَكَ تَسْكُنُ فِي كُلِّ رَاوِيَةٍ،

فِي كُلِّ قَصِيدَةٍ، فِي كُلِّ نَفْسٍ صَائِعٍ،
 فِي كُلِّ انْتِظَارٍ طَوِيلٍ.
 السَّيَّابُ شَاعِرٌ عِرَاقِيٌّ لَمْ أَلْتَقِهِ
 لَكِنَّهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ يُوقِظُنِي مِنْ نَوْمَتِي
 يَأْتِي بِصَوْتِهِ الْخَافِتِ كَصَوْتِ الرِّيحِ عَبْرَ الشُّرُفَاتِ الْعَنِيْقَةِ
 يُحْكِي لِي عَنِ السَّنَاشِيلِ
 عَنِ الْأَرْزَاقِ الَّتِي تَلْفُهَا ظِلَالُ النَّخِيلِ
 عَنِ الْمَطَرِ الَّذِي يَرْحَفُ بِصَمْتٍ
 لِيَمَلَأَ الشُّرُفَاتِ بِحِكَايَاتٍ لَا تُمَلُّ.
 السَّيَّابُ، بِظِلِّهِ الطَّوِيلِ وَوَجْهِهِ الْمُتَعَبِ
 يَجْلِسُ بِقُرْبِي، كَأَنَّهُ طَيْفٌ نَدِيٌّ
 يُحْكِي لِي عَنِ مَدِينَتِهِ التَّجِيدَةِ،
 عَنِ النَّوَافِذِ الْمُوصَدَةِ بِأَسْرَارِ الْفِرَاقِ
 عَنِ الْأَرْوَاحِ الَّتِي تَهِيْمُ فَوْقَ مَاءِ الشَّطِّ
 بَاحْتَهُ عَنِ عَوْدَةٍ، عَنِ لِقَاءٍ لَمْ يَتَحَقَّقْ.
 أَرَاهُ بِعَيْنٍ مُتَعَبَةٍ، لَكِنْ بِرُوحٍ يَقْظَةٍ
 يَنْشُرُ كَلِمَاتِهِ كَحَبَّاتٍ مِنَ الْمَطَرِ
 يُخْبِرُنِي عَنِ الْإِنْتِظَارِ الَّذِي طَالَ
 عَنِ لَيْالٍ فَارِعَةٍ مِنَ الْحُلْمِ
 عَنِ أَحْلَامٍ صَائِعَةٍ فِي زَوَايَا الْبُيُوتِ الْقَدِيمَةِ
 وَحَنِينٍ كَالْمِلْحِ فِي جِرَاحٍ مَفْنُوحَةٍ.
 السَّيَّابُ، كَأَنَّ حُزْنَهُ شَجَرَ يَنْبُتُ فِي قَلْبِي
 كَأَنِّي أَعِيشُ عُذْبَتَهُ كُلَّمَا هَمَسَ لِي
 كَأَنِّي أَرَى نَفْسِي فِي عَيْنَيْهِ الْمُتَعَبَتَيْنِ
 نَحْمِلُ نَفْسَ الشُّوْقِ، نَفْسَ الثَّقْلِ عَلَى الْكَتِفِ

نَنْظُرُ إِلَى الْعَدِ كَمِينًا بَعِيدٍ،
لَا نَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا عَبْرَ عَاصِفَةٍ، أَوْ أُغْنِيَةَ كَسِيحَةٍ.
فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، أَسْتَيْقِظُ عَلَى صَوْتِ خُطَاهُ
كَأَنِّي عِشْتُ مَعَهُ، وَإِنْ لَمْ أَرَهُ
كَأَنِّي مِنْ مَدِينَتِهِ، مِنْ غُدَّتِيهِ
أَحْمَلُ فِي رُوحِي السَّنَاشِيلَ،
وَفِي قَلْبِي مَطْرًا لَا يَنْتَهِي.

(2024)



قصيدتان

محمود نقشو

(سورية | ألمانيا)

1. تلبس ..

وخلافاً للمعتادِ ، وما كنتَ زمانَ الشعرِ من الأرجاءِ طويئُ
قد يأخذكَ الإيغالُ وحيداً ، نحو مجازٍ ما يزهو بحدائتهِ ، وتفتِّحِ معنى لم تألفهُ
السيرةُ بَعْدُ

أو يأخذك الشجرُ العاري ، للسفحِ الأقربِ من أسوار العيشِ ، وكيف - أوان انداح
الضوءِ - مع الأطيافِ المُنتثراتِ جَرِيَتْ
ووحيداً في الجنباتِ رصدتِ قطوف الظنِّ ، وما كنتِ استعذبتِ ، وما استثنيتِ ، وما
في الشكِّ رَمِيَتْ
ووحيداً يأخذك الإمعانُ إلى أفصاكِ .. تمرّ بنفسِكَ ، تسألُها : ما الحالُ اليومَ ، وهل ما
زلتِ بخيرٍ ؟
لم تَسْتَعْتَبِكَ على شيءٍ ، بقيتِ تتأملُ مُطلَقَها ، وتُريكِ من الشكوى إشراق
ملاحمها ، ومن الإنكارِ بقاءكَ في شَرِكِ المرمى
لم تستعتبِكَ بشكواها هرباً ممّا تُخفيه .. بلِ استذكارِ رؤىٍ ، ممّا أغفلتِ من الأخبارِ
هناكُ
غبشاً يتماوج مُغَبِّراً ، في سَمْتِ مداكُ
شيئاً من إسرافِ النهدياتِ ، وبعضاً من لمساتِ شذاكُ
لم يُعِدْكَ الترجيعُ كثيراً عنها ، كانتِ ساهمةً ، تتلمّس في أرقِ أسوارِكَ ؛ طعمَ نهارِكَ
، واستنهادَ رؤاكُ
لم تستعتبِكَ .. ارتدتِ حين مرتت بها ، واستبقتِ في المجرى موجَ الذكرى .. لمّا في
السردِ عَوِيَتْ
لم تستعتبِكَ على شيءٍ ، أبقتِ في البابِ مُداوَرَةً للضوءِ ، وخلّتِ من معنك شقوقاً
في الأخشابِ مُوارِبَةً .. تروي ما كنتِ رويَتْ
تَرَكَتْكَ هنالكِ ترفل بالأسرارِ ، وعادتِ قبل مغيبك صاغرةً للبيتِ.

2. تذكرة سفر إلى الشعر

لم أبلغ الأسوارَ بعدُ .. اليومَ - من باب التفلّتِ من سياق الرّيم - حاولتُ العبورَ إلى
هناكُ ، بدأتُ حَبَوِي في وهاد الشعرِ ، عليّ أرتقيه ، كما ارتقيتُ بدهةَ الأشياءِ
وحَبَوْتُ حتّى كدت أمشي في المتاهةِ .. كدتُ - من فرطِ اشتهااتي - ألامس غيمةً ،
وظلالَ معنى في البعيدِ ، مُنمّق الأرجاءِ

كدتُ - اعتقاداً بالتجليّ - أستحّم بوردة في صباحها التيهانِ .. كدت ألاحق الأصداء
ولكلّ منأى صبوّة، يرث الصبيّ إسارها ، ولكلّ مُنَعَتَق مجارٍ ، يتديه هناك في
الأعماقِ .. حيث الرّوح تلهثُ ، والضلوع إناء
وهناك - في الغمض البسيط - يموج ذاك العالم المكنوز بالرؤيا ؛ كما لو أنّ فيضاً
يستريح إزاءها ، لا من قبيل تلمّس المعنى ، بل المجرى يكوّنه ، فيغدق ذلك
الإيحاء

وهو افتراض ساذجٌ .. لكنّ في ذاك الحصول ، تسبّح الآناء
وكأنّ غيم الشعر غير الغيم .. موسيقاهُ تبدو غير آبهة بمنطق دورة العيش البسيطِ
.. كأنّها من خارج المعتاد تعزّف ؛ ما يُخيّل للرّقيب ، تواشج الأمداء
وكأنّما قبل القصيدة يُرعد المخبوءُ ، تمطر في سفوح الشّاعر الأفياء
وكأنّما في تلكم اللحظات تأتي رجفة البدء الحميم بكلّ سطوتها ، ويهمني من علٍ
مطرُ التساؤلِ ، والمدى متفرّقٌ ، والحانيات ظمأً
وكأنّما ما مرّت الغيمات يوماً بالمضيقِ ، وما احتفيتُ بما لمسّت من الذرى .. أرقت
فيها الواسع الكحليّ ؛ صرّت مُولّهاً بالزقزقاتِ ، ودهشة الإصغاء
وفتحّت شبّاكي على أفق التشابهِ ، والتشابه لا يُريح الشعرَ .. هذا الشعرُ يأتي في
الخروج إلى الظلالِ ، وقد تلبّسها الغموض المستثيرُ ، وخفّة الإيحاء
في لحظة يردّ الغموض مدوّياً في متنها ، والواضح استثناءً .
**

في ذلك المقدار من هرج العميقيّ ، يحاول المخبوء إيقاظ الضفاف هناك ، حتّى تبدأ
السير الحثيثَ ، بحكمة السرد الحميم ، وغبطة الإبطاء
في ذلك المقدار من قلق التحوّلِ ، أستضيفك ، كي أصليّ في الرّحابِ ، وتُغمضُ
عينها الأنحاء
في ذلك المقدار تبتدئ القصيدة بالتشكّلِ ، يُستثار القلبُ .. تعتمل الهواجس في
مغارتها ، وتناى العتمة الزرقاء
في تلكم اللحظات تقترح القصيدة ما تراه ، فتُكثِرُ النقرَ الخفيف على النوافذِ .. كي
تقول لأهلها : عمتم مساءً ، إنني وهَمّ تلبّسكم ، فأنتم والجنون سواء

في تلكم الأثناء يكثر ما يُسمّى الوجدُ .. يقترب البعيد من القريب ، ويستقيم الدائريُّ
، لتمضيّ العربات صوبَ البرجِ .. يطلع عالم يصفّر حيناً في تواردهِ ، وحيناً تزهر
الصحراءُ
يخضّر ما يخضّر في الشجرِ الطريِّ العودِ .. يوشك أحمرُّ أن يستريح إلى السّوادِ ،
ليرسما في أصفر المعنى حقولاً ، أو نساء ، أو رؤى .. تبدو كأنّ بعيدَها غَبْشٌ ، وأنّ
قريبَها الزّاهي تكأفُ ماءً
في تلكم اللحظات من وَصَحِ التفتّحِ ، والأصابع ما تزال كعهدِها ، تنساب في عزف
البيانو مثل راقصة ، تدور على الجليد بخصرها ، فتراقص الرّكن الرّميمَ ، ووالغَّ
الأشلاءُ
يبدو الطريق - على انحناءته - يخبّ السيدرَ .. يحتشدُ الحمام على السّقوفِ ، وبيتي
مطر خفيف باقتراح الصبحِ ، تقترح القلوع البحَرَ .. يقترح الوصول الموجَ .. يقترح
المدى الميناءُ
كي أستضيف قصيدة في هذه الأثناء .



أربع قصائد

أحمد حافظ

(السودان)

1

لا عجب أن محاولاتي
خفق نفسي لم تنجح..
أنا لا رقبة لي، هذا غصنٌ من زخارف آيات
أشجار الجحيم

كان منذ البداية عملاً غير صالح؛
قمرٌ قبيحٌ يبحث عن سلة مهملات الوجود:
رأسي الذي ابتكرتني
كوابيس تعفنه مسقّطٌ للأهوال

لا حول لي سوى الدهشة السامة ولذة الغثيان.
مضجرة مستحضرات الحياة،
يا هرمونات الموت، لا تتبرجي !

تقول سمكة سعيدة:
لا جدوى من مصارعة القوى الخفية،
فقط تنفس، وكن مثل المحيط.
لكن، ما ألهمني هوس التخلص من يدي،
والخروج من جسد العالم،
كان التلوي الهستييري
لسمكةٍ يحاول تهدئتها التراب.

2

إذن لماذا أنا صنم لآدم
طالما أنني ماخور تنهار فيه مرده الشياطين،
لماذا يشاكل جوعي قوام الفراغ
وأحلم بمضغ تراب القمر
لأطفئ نيران الحروب
التي تطلع على أفئدة المساكين.
لماذا الليل عندي حزن خارج الضلوع

والنهار فيلم اباحي لاستمناء الشمس بوجهي.
لكن لا يهمني إلا أنتِ:
لماذا تتركين صورتي طليقة هكذا
وروحى مشنوقة بضيفرتك من زمان

3

ما الجدوى من أن أحرك به لساني؟
انظر، أنا بالفعل ندبة شعر
الأمر كاستمناء عجيب،
كل مرة تفعلها ينبت لك طرف جديد.
هكذا الشعر عادتي السرية،
التي، وبعده هائل من الأعضاء،
أضاجع بها العالم

وأكره قصائدي وأحبها،
كما أكره نفسي التي تحب نفسها

للخيوط الخفية التي تحركني
أقول: مهلاً، لو تدعون يدي تُطاوعني
أريد أن أحكَّ روحى
للسماء التي اعتمدتني عُكَّازاً
لتلقي علي ثقلها.. للسماء العجوزة أقول:
بعد التسريح، جنبيني رُتب الحيات،
واتركيني لأكون شجرة

كما تبتدع أجنحة النسور عُربَ السماء..
حَدَّرَ "إذن أيتها العصافير"
يا قرآن منشور يقرأ نفسه

4

حتى يستطيع الرجل
الذي خسر قدميه،
أن يُنزّه ابنته الصغيرة،
كما اعتاد أن يفعل في المساءات،
وحتى يعالجوا، ولو بتراب القمر السحري،
الفتيان المشلولين،
الذين سلبتهم حروب السادة
حق التمتع بالجابية،
قبل أن تعدهم بالكرامة..
سأقف لله،
تحت زرقه نهاراتهم المزيفة،
وسأقف بين يدي سماء الله،
التي يكنسون تحتها ليل العواصم
القذر
سأقف لله،
مع أشجار العالم والأنهار،
أدعوه للتدخل،
طالما لن تتوقف الحرب
أترجّاه
أن يوقف العالم.

5

أجدني في صراخ الطيور
في أنين الريح
في أسي الماء
وأتنفس همسك في أنفاسي
مالي والتكاثري يا حبيبي؟
أنا تعنيني وحدتك
خذ عني كل أعضائي
وهبني يدًا تحمل الفأس
لأتحرّر من ما ينحته قلبي
لأكسرّ صورتي وأندقق عاريًا.
قل لي كن ماء، لأنظر وجهك

6

ليست عيوني فقط،
مفتوحة عليّ
أبواب كل شيء.
ليس دمي وحده
ليست دموعي فقط.
ماء العالم يمور في داخلي
لا أعرف كيف ألفظها
صرخة الاستغاثة هذه..
قلبي حوت يغرق.

لولا شجرة أيامي
 التي تورق تذاكراً
 لحضور مشاهد الذبول...
 لولا هوسي
 بممارسة الوجود،
 لولا الأغاني..
 الأغاني التي تُشغلني
 عن نفسي،
 وشفقتي على الموجودات
 التي تغني آلامها،
 لولا تقسيمي جسدي في جسوم كثيرة
 أنا الذي أراني فيلاً،
 وما زلت أتضخم،
 لو لم أكن كَلِّي آذان صاغية،
 لالتهمني هذا الحزن،
 هذا القمر السرطاني الصامت،
 هذا الوحش الأكبر مني..
 الساكن في صدري
 ويتمدد في كل مكان



العلی

محمود شریح

(لبنان)

ما عدتُ أذكرُ

وكيفَ
أَكَانَ حُلُمًا عِنْدَ الدُّجَى
أَمْ سَاعَةً وَصَلِي تَرْجَى
أَنَّ نَسْرًا فِي مَنَامِي
حَلَّقَ فَوْقَ ذُرَى
أَطَلَّ مِنْ غَيْمِهِ
عَلَى بَحْرِ هَائِجٍ
فَأَعْوَتْهُ الثُّورَةُ
وَانطَلَقَ كَالسَّهْمِ صَوْبَهُ
لَكِنَّهُ ارْتَطَمَ بِصَخْرَةٍ وَارْتَمَى
عِنْدَ مُلْتَقَى قَوَيْسِ الْأَفْقِ بِالذُّنَى
فِيمَا بَقِيَتْ عَيْنُهُ رَوَى
نَاطِرَةً إِلَى الْعَلَى
تَذْرُفُ دَمْعَةً حَرَى
مِنْ صَفَاءِ مُقْلَهُ
انْحَدَرَتْ إِلَى الْبَحْرِ
فَطَافَ مَوْجُهُ وَأَغْرَقَهُ
إِلَّا أَنَّهُ أَحْسَسَ وَهُوَ يَحْتَضِرُ
بِنَشْوَةِ نَصْرِ وَرِعْشَةِ ظَفْرِ
فَارْتَقَى إِلَى عَلِيَّائِهِ
عِنْدَ سُدْرَةِ الْمُتْنَهَى

ثُمَّ انْحَدَرَ
كوكباً سُهَى
وَنَجْمًا سَنَى
وَانْدَثَرَ



الفيزياء الكمية لشاي النعناع

محمد حسني عليوة

(مصر)

تماهى الكونُ في فنجاني الصغير،
كأنما أُعيدَ تشكيلُ الأزمنةِ
من رشقاتٍ تتأبى الشغفُ!

-

في قطرةٍ سائلةٍ تُحاكي خطوط الطول والعرض،
تتراقصُ بين موجةٍ ووميضٍ
تتراقصُ في كؤوسٍ تفوحُ بعبقِ الأرضِ
أجدُ سريريّ تعودُ لمهدِها الأولِ،
وتنسجمُ برفقٍ مع تكويناتِ السحبِ المثقلةِ بغيمٍ لا متناهي:

[كأنما موسيقى غير مرئيةٍ، تعزفُ على أوتارِ البخارِ
المتسللِ، بينما ينسابُ الدخانُ كالسُرِّ المحفوظِ في
قلبِ الأرضِ، وفي كلِّ نفسٍ أستنشقه، أشعرُ بأنني
جزءٌ من هذه الرقصةِ الكونيةِ، مجرد ذرةٍ أخرى
تبحثُ عن مكانها بين النظام والأصل التراتبي
للفوضى]

-
أينَ ذهبتُ جُزَيْئاتُ المذاقِ الأولى؟
قد تَكُونُ هنا...

تحت عدساتِ الغيابِ، يرقُصُ الإلكترونُ
على مدارٍ من الشكِّ والضوءِ المنقطعِ النظيرِ،
لا نعرفُ وجهته؛

لكنهُ يرسمُ في الهواءِ دوائرَ تائهةً،
كأنما الحلمُ دون حلِّمٍ
كأنما ذاته المتصلة - في الذاتِ - بلا ذات
كأنما روحُ الوهجِ قدّها من "لا وهج"

تحت أعينِ الظلالِ المجهريّة،
في مدارٍ دون وجهيّة،
جُزَيْئاتُ الصمتِ تتفرّقُ بلا معنى في فراغٍ حالمٍ

أين يكمنُ المسارُ الذي لم نقطعه بعد؟
أفي خريطةٍ بلا حدودٍ،
أم في سماءٍ مصنوعةٍ من ضبابٍ لازبٍ؟

-
بعيوننا المعلقةِ بين الأبعادِ،
نحاولُ التقاطَ لحظةٍ من هذا الوجودِ،
أن نخطفَ "سرَّ اللحظة المواتية" كنبضةٍ نادرةٍ،
من عالمٍ لا يعرفُ إلا الرقصَ بلا تقريرِ مصيرِ
بلا ارتجافٍ في حضرةِ البندقية، وصوتِ زنادها الصارمِ.

كلُّ منا كوكبٌ سكرانٌ بجاذبيته،

جُرْمٌ مُنْفَلَتٌ من خريطةِ المعنى،
يدورُ في فلكه المساق إلى لذةٍ مُفْتَقِدَةٍ،
يخُطُّ بيده مدارَه المنسيّ بلا نواةٍ؛
تُدَارِي ظلالها بضوءٍ لا ينيرُ غيرَ بهجته الأحاديّة،
يمشُطُ الهواءَ بأصابعه خيفةً الفقدِ،
يتبعُ أثرَ صوتِه في الكونِ الأخرسِ،
ثم يذوبُ في أغنيةٍ لا تحتاجُ إلى كلماتٍ
والكونُ يتلَعُ صُراخنا دون أن ينبسَ بنبتِ شفة!

في سطوةِ كوبِ الشاي:
حيث النعناعُ جسيمٌ يتموِّجُ كنبضِ أخضر،
مرسوماً بينَ الدخانِ وانبعائه الأبيض..
تشابكُ أوراقه كأصابعِ ريحٍ،
تُعيدُ تشكيلَ الفمِ بلغةٍ لا تُكْتَبُ،
في لعبةِ التذوّقِ الأولى،
حيثُ تتمازجُ المسافاتُ وتختلطُ الحدودُ،
بلسانِ الطبيعةِ الأمِ،
يهمسُ في ذاكرةٍ تحلُّ بالماءِ

وحيث كُلتُ لحظةٍ:
ذراتٌ تُراقِصُ الزمنَ في غفوته الكبيرة،
تَخْلُقُ احتمالاتِ حياةٍ تحت غطاءِ الكثافةِ،
كما لو أنّ الكونَ كلُّهُ
احتشدَ في كويكبٍ صغيرٍ،
وأنتَ تمسكهُ بين يديك،
تأملُ العالمَ يرقصُ في سكونٍ عارم.

-
فلتشرّب شايك،

ففي الفيزياء لا شيء يسكن

كلُّ رشفةٍ لغزٌ

كلُّ زفيرٍ احتمال،

وفي نكهة النعناع، يختبئ السؤال..

في كلِّ رشفةٍ، يتسرّب سؤالٌ خفيّ..

يطرُق أبوابَ الوعي كظلٍّ لا ينام:

"هل تُدرك الكونَ في فنجانك؟"

-
في كلِّ نظرةٍ من عينيّ

تسقطُ في الماءِ، كحلِمٍ يتفتّح،

تُطلقُ الزيوتُ عطورًا هلاميةً المزاج،

تحملُ في طيّاتها طاقةً غامضةً،

كفيزياء الكوانتم، تفضحُ الأسرار،

وتكشفُ عن أصلها الثابتِ في التكوين.

النعناعُ يهتدُّ في بُعدٍ خفيّ،

يتسللُ كومبيضٍ جريءٍ

كرائحةٍ تحركُ قوانينَ اللايقينِ الدقيق

-
المادةُ والطاقةُ في كوبٍ واحد،

متألفتان كقصيدةٍ خفيةٍ تنتظرُ قارئها

المادّة والطاقةُ تلتقّانِ في كويِّ واحد،

البخارُ صلاةٌ تتصاعدُ نحوَ العدم،

مرآةُ الزمنِ تتكئُ على سطحِ السائل

فلتنصتُ للبخارِ حينَ يعلو،

وارتشفُ ببطء..

البخارُ يعلو كأنينِ كويِّ قديمٍ

وبعينينِ مفتوحتين -كُنْ ظلًّا يراقبُ الضوءَ،

كلُّ جرعةٍ: قصصٌ من النورِ والظلِّ،

كلُّ انحناءٍ منه تروي ولادةً وفناءً

في كلِّ رذاذٍ،

تتمايلُ الأطيافُ كأشباحٍ هاربةٍ،

كأنّها مدعاةٌ لحربٍ،

تقومُ مفزوعةً من حلمها المراهقِ.

قصيدتان

نور الموصلِي

(سورية)

1

من لم تنزوّج من رجلٍ
تتوهّج بعد حرائقهِ
تتأرّج بين حدائقهِ
تبزغ كلّ صباحٍ شمساً من شرفتيهِ
بقيتُ عذراءً

...

من تشرب من نهرٍ مقطوعٍ
لا يتجدّد وفق فصولِ أنوثيّها
لا يتدفّق من بين تضاريسِ صباها
يبست عطشاً
ما كلُّ الماءِ بماءٍ

...

من تسكن بيتاً لا يسكنُها
أضيق من آفاقِ رؤاها
لا يفقه إيقاعَ خطاها
ومراياهُ لا تقرُّ أخبارَ صباها
فالبيتُ إذن منفى وعراءُ

...

من تنجب جيشاً من رجلٍ
لا يشغلُهُ في أيِّ ترابٍ يزرعُ بذرتَهُ
لا يتحرَّى في الأرضِ خصوبةَ معناها
لا يتقصَّى ثمراً أنضحَ فكراً
أطيبَ ذكراً
شاخت بثمالةٍ رحيمٍ موبوءٍ
وعقيمٍ مهما أينعَ من أبناءِ

2

هبْ أُنِّي لحتُ لفلاحٍ أو نجَّارٍ أو حدَّادٍ..
فنانٍ لا ريبَ بحرقيتِهِ ينكبُّ على المعنى
ويهدِّبه وينمِّقه خلقاً يتفتَّحُ بين يديه
هل كنتُ سأبرقُ في عينيه؟
هل كان سيصرخُ منتشياً؟
هل يتقرُّ غرسي.. تشكيلي.. هندستي
يدركُ قيمةَ ما أوحاهُ الغيبُ إليه؟
الفكرةُ.. إني الفكرةُ
محضُ الفكرةُ
كنتُ سأغدو شتلةً وردٍ، كرسيّاً، صرحاً
أغرني ربِّي زمناً، حتى أذوي
أتفتت.. أصداً في جنبه
فالحمدُ لشاعري المجنون، لعزله، لفراسته
ولكأسِ نبيذٍ في كفيه
وللحظةِ سكرٍ غامت.. غامت في عينيه

أدخلني فيها الخلدَ
وأغمَصَ من حولي أبداً جفنيهُ

رماد في الصدر

ميرين آغور ميابي

(إسبانيا)

ترجمة: عبدالهادي سعدون

يشكل هذا النص الشعري المطول من كتاب كيف نحفظ بالرماد في الصدر الحائز على جائزة الأدب الوطنية لعام 2021، كتاباً إبداعياً يتجاوز الحدود الأجناسية، جامعاً بين النثر الشعري والمقالة التأملية والسرد المفتوح. ينتمي هذا العمل إلى حقل الأدب المعاصر الذي يسعى إلى إعادة تعريف علاقة النص بالقارئ من خلال تفكيك البنية الخطية، وفتح المجال أمام تعددية الدلالات، وتكثيف البعد الرمزي. إذ يتموضع الجسد في نص ميابي بوصفه بؤرة دلالية أساسية، ليس فقط باعتباره كياناً بيولوجياً، بل كحامل للذاكرة الفردية والجماعية. استعارة "الرماد" في العنوان تكثف فكرة بقاء الأثر رغم التفتت، حيث يتحول الجسد إلى خزان لتجارب الألم والخسارة والمقاومة. ميرين آغور ميابي Miren Agur Meabe ولدت في لكتيو . بلد الباسك عام 1962. نالت جائزة النقد في عامي 2001 و2011 عن كتابيها الشعريين (علامة الجسد) و (زبد في اليمين)، كذلك جائزة أدب الطفل الباسكية في ثلاث مناسبات. حازت روايتها (عين زجاجية) على جائزتين أدبيتين هما ثاثييكالي وبيتريكو ليبروا وترجمت إلى لغات عدة من بينها الإنكليزية. ككاتبة وشاعرة شاركت في ملتقيات ومهرجانات عالمية مثل مهرجان الأدب في دبلن 2003، مهرجان الأدب في سلوفينيا 2006، مهرجان أدمبرغ 2007، مهرجان أوروبا الوسطى 2016 ومعرض الكتاب في

ميامي 2016. ترجمت عن الفرنسية إلى الباسكية العديد من كتب الشعر والرواية. عام 2018 حصلت على جائزة بلد الباسك للترجمة عن مجمل ترجماتها لأدب الطفل الأدبية. في عام 2015 حازت على منحة التأليف والترجمة في نيويورك. سبق وأن ترجمنا لها روايتها المعروفة (عين زجاجية) إلى اللغة العربية ونشرت عام 2020 عن دار الرافدين.

رماد في الصدر

كيف نحتفظ، دون سعال، بالرماد في الصدر؟
لقد مزجتُ الواقع بالرغبة، الذاكرة بالحلم،
لأكمل ألبوماتي.
جائئياً، رتبتُ قطعي.
اخترعتُ نقوشاً صخرية لتلخيص معتقداتي.
لو كان ممكناً، لاستأجرتُ
سعادة الجنين في رحمي.
لقد استرحتُ بظل نخلة،
قاضيّة متعجرفة،
مقلدةً ديورا تحت شجرة أفرايم.
لا يمكنني الادعاء بأنني أعطيتُ بقدر ما أخذت،
أتقبل مسؤولية بعض المآسي.
حتى أنني فكرتُ بشاهدة قبري.

كيف نحتفظ بالرماد دون أن تتلوث البشرة؟
أعلنتُ نفسي عود ثقاب،
فأنا واحدة بين كثيرين
(وأعواد الثقاب من أعظم اختراعات التاريخ).

جمعتُ في مئزري
ثمار تين نبتت في أرض فقيرة.
أدركتُ أننا مطرقةٌ ومراة،
وأن الزمن نفقٌ مليء بسيارات معطلة.
زخرفتُ الدوائر الحجرية بالدانتيل،
وغلقتُ شوك الأرض بجلد بشري
لأخفي ألم العمليات القيصرية الكونية.
كان تعاملِي مع الطبيعة قاصراً:
أمضغ الجذور
لأمنح نفسي جرعة من المعجزة.
عانقتُ نظرياتٍ تخجلني اليوم،
لكنها أنقذتني يوماً ما.
وأشعلتُ أنوار الطوارئ.
كيف نحتفظ بالرماد دون أن تحترق العيون؟
سرتُ في عز الشتاء، سجيناً في دوائر متحدة المركز،
إلى أين، أيتها المرأة المتسولة؟
كانت الكرامة سقفي في المسافة.
تبدل تعداد أصدقائي،
وسجلتُ اسمي في جمعية للفراشات
(الحلوى العاطفية تُباع في كل مكان).
تظاهرتُ بالموت.
كنتُ كالميتة.
أدرتُ ظهري للواقع المرئي.
والواقع المرئي خدعني:
السياق شيء
يتجاوز ما تراه العين.

كيف نحفظ بالرماد دون أن نشعر بالغيان؟
لقد تسوقت في موسم التخفيضات:
ميزاناً، سيفاً، وعصاة للعين،
جميعها ضرورية في هذه الحقبة العادلة.
أين الإيمان، أين الإحسان، أين الرجاء؟
مصابة بتصلب الأخلاق العام،
أكتفي بإعداد قوائم متضخمة.
ينبغي أن أختبر قواي المتضائلة.

لقد جمعت مجموعة من الكواكب الخارجية،
لأُبعد إليها غطرسة العالم:
جنون العالم تركنا في العراء.
ارتطمتُ من أجل دراهم قديمة:
لا يُسمح للعوسج أن يتخلى عن أشواكه،
آه، يا قدراً محتوماً، آه، يا مصيرنا النساء.
أنا النابذة عند هذا الجدار الزائف العظيم.
يثقلني أنني لم أوسّخ يدي أكثر.

كيف نحفظ بالرماد دون أن نلوّثه؟
لقد سمرتُ بمسامير باباً كان يصرخ.
نهقتُ شوقاً بينما
كان ضوء القمر يقرص حلمتي.
ألبستُ سيد أرضي ثوب فزاعة:
خدعني من ظننته ساريتي.
ضاجعتُ جنيّه،

مثقلة مهبلي بالمرارة:
لم ينفذ إليّ شيء
سوى رطوبة النسيان الخضراء.
لعبتُ بحروف اسمه الأولى،
مزحة جرحي النرجسي،
المتغذي على بقايا علاج وهمي.
رجمته دافعاً إياه إلى الهاوية،
فلتذهب بعيداً. والآن ماذا؟
ربما لا أستحق مزيداً من الحب.

كيف نحتفظ بالرماد دون أن ننحني؟
رسمتُ وصمة على سرّتي، شوقاً للسمو.
شربتُ نبيذ اللفاح،
متضرعةً للهديان أن يُخصب قلبي.
قرأتُ، تأملتُ في الأعمال الفنية.
ابتلعتُ الأحجار التي تجرّ قافلتني نحو تفاهتي
وحنجرتي تشتعل.
أرتاب في الإعصار الذي تطلقه الرفقة،
لكنني أبصرتُ بفرح الهمالايا على طريق A-8.
أتساءل عن معنى الشعر:
هل يجوز أن نكتب لغورنا الثقافي؟
أبحث عن الشكل، ساعة رملية.
الخير، الحقيقة، والجمال المفقود
مما كان لنا يوماً

. الفضة التي تتركها الجمرات .
نارها المتقدة تصارع الموت.

هناك حريق يشطر الحياة إلى نصفين،
وميض يحفر النخاع.
كيف نحتفظ بالرماد في الصدر؟

ليس هناك من وسيلة.
فقط الصمود عند الحافة،
دون التفكير فيما نفتقده.
القبول بأن الحياة لا تخطط لنا شيئاً.

وعندما تحينُ الساعة،
رمي جرة الرماد، اجتياز الحفل.
لا يهم إن كان ليلاً
الإجابة، طالما استمر النداء.

هناك درب خفي بين الأشجار
يؤدي إلى مشيمتي.

يا لعمق المقبرة!

فراس حج محمد

(فلسطين)

لست أدري كم سيلزمني لأعبر شطّها الممتدّ إيغلاً إلى الصحراء
من سيمسك بي لأرى طريقي؟
من سيسقيني قطرة ماء في حرّ ذاك الصيف؟
من سيوصلني إلى شجرة الحور والطلع والنخلة السامقة؟
من سيطعمني رطباً على سغب طويل؟
من سيقراً في ذاك الخراب ملامحي؟
من سيمحو آخر حرف من حروفي الأربعة؟
أو سيمحو أول حرفها لتصير مثل الزوبعة؟
من سيفتح آخر سفرٍ خطّه قدر ترّبص بي هناك؟
أم من يعلمني جمال الصمت والحرفة الفاتنة؟
من ذا الذي تأملني ليأكل جثتي قبل الحصاد الأخير
وينثرني مع حبيبات الرمال؟
من ذاك الذي علّمني السؤال وأضاع مّني الأجوبة؟
من ذاك الذي يدخل كلّ حينٍ جوف رأسي ويمنع عن بنات الفكر تلك الثرثرة؟
يا لتلك المجزرة!
يا لعمق المقبرة!



ملف العدد

الشاعر عماد فؤاد

عماد فؤاد، شاعر من مصر، (1974).

صدر له في الشعر:

1. «مُعْجَمُ الحَوَاسِّ»، كتاب شعري، دار «ديوان»، القاهرة، 2025.
2. «تلك لغة الفرائس المحظوظة»، كتاب شعري، دار ميريت، القاهرة، 2019.
3. «عشر طرق للتَّنْكِيل بِجَنَّةٍ»، كتاب شعري، دار الآداب، بيروت، 2010.
4. «حرير»، دار «النهضة العربية»، كتاب شعري، بيروت، 2007.
5. «بكدمية زرقاء من عصاة الندم»، مجموعة شعريّة، «شرقيات»، القاهرة، 2005.
6. «تقاعد زير نساء عجوز»، مجموعة شعريّة، «شرقيات»، القاهرة، 2002.
7. «أشباح جرّحتّها الإضاءة»، كتاب شعري، «ديوان الكتابة الأخرى»، القاهرة، 1998.

في الرواية:

- «الحالة صفر»، رواية، ميريت، القاهرة 2015.

في الأنطولوجيا الشعرية:

1. «ذئب.. ونفرش طريقه بالفخاخ»، الإصدار الثاني لأنطولوجيا «النص الشعري المصري الجديد»، «المكتب المصري للمطبوعات»، القاهرة، «الوردة»، بروكسل، 2016.

2. «رُعاة ظلالٍ.. حارسو عُزلات أيّضاً»، الإصدار الأوّل لأنطولوجيا «النّص الشعريّ المصريّ الجديد»، «جمعية البيت للثقافة والفنون»، الجزائر، 2007.

في النّقد الثقافيّ:

- «على عينك يا تاجر، سوق الأدب العربيّ في الخارج.. هوامش وملاحظات»، مقالات، دار «ميتافورا للنّشر والترجمة»، القاهرة، 2022.

في لغات أخرى:

- «حفيف Bruissement»، مختارات شعريّة، صدرت عن دار «Al Manar»، ومهرجان Voix vives de Sète، نقلها إلى الفرنسيّة أنطوان جوكي، 2018.

- له محاولات في تسجيل قصائده بصوته على قناته على ساوند كلاود، وتجدونها على الرابط التالي:

<https://soundcloud.com/al3omda74>

- له محاولات لنقل الشعر إلى وسيط الصورة والفيديو عبر قناته على يوتيوب ومنها قصيدته على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=sB1jt2r1nZI>

emadfouad2@gmail.com

اتجاهات الجيل الثالث:

"حرير" عماد فؤاد.. وأنماط قصيدة النثر

رفعت سلام

مالدورور» للوتريامون (1870) و«فصل في الجحيم» لرامبو (1873) و«رمية نرد» لمارمييه (1897)، في أربعة أنماطٍ مختلفة من الكتابة، التي لا يجمع بينها سوى الأساس العام - البالغ العمومية - الذي يكمن في «الخروج على النَّظم» (لم تتبه سوزان برنار- في أطروحتها الموسوعية - إلى التمايزات الكبرى بين هذه الأعمال، بما يستدعي تصنيفًا داخليًا أكثر دقة وتدقيقًا). أساس عام يمايزها فحسب عن القصيدة المنظومة، القائمة على الأوزان والبنى الإيقاعية التقليدية، المعيارية. لكنها - بعد هذا التمايز العام، الخارجي - تتمايز في ما بينها في العمق: في البنية، واللغة، والصورة، والأفق الإبداعي، بما يشير إلى تأسيس أنماط مبكرة داخل ما اعتبره

هي قصيدة نثرٍ أخرى. وجيل آخر من شعراء النثر يكتب قصيدته المغايرة، فيصدر الشاعر عماد فؤاد ديوانه الرابع "حرير."

نعم، قصيدة مغايرة لما كتبه الأجيال السابقة لشعراء قصيدة النثر العربية (ليست أول مغايرة - على أية حال - في تاريخ هذه القصيدة، عن قصيدة التأسيس الأولى، لدى أنسي الحاج والماغوط).

فقصيدة النثر ليست قصيدةً واحدة. هي قصائد: أنماط؛ سواء في الشعر الغربي (وبخاصة الفرنسي الذي أسسها)، أو لدينا في الشعرية العربية المعاصرة.

فقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر الفرنسي دواوين «سأم باريس» لبودليير (1869) و«أناشيد

نموذج مسبق تنسج على منواله، ويضع لها القواعد والمعايير والحدود، بل من فراغ نسبي بحثًا عن ذاتها.

هذا التحرر من المُسَبِّق والقَبْلِي - لحظة التأسيس، هنا وهناك - هو ما نفَى «التقليد» والانسجام ضمن نمط جاهز، وفرض على الشعراء مغامرة الاكتشاف، بلا أسلاك شائكة، فأنج التعددية بتعددية المشروعات والتوجهات والآفاق الكتابية، بلا أحادية ولا معيارية هذه المرة. وإذا ما اعتبرنا «جاسبار الليلي» لألويزيوس برتران العمل الأول في قصيدة النثر الفرنسية، فإن قيمته - في ما يتعلّق بالنتاج التالى للشعراء في قصيدة النثر - تكمن في اكتشافه لهم هذا النوع من الكتابة، حيث انطلقوا - في نصوصهم - خارجة، لا منه، من دون أن يتحوّل إلى قيدٍ أو شكل واجب التقليد ومحدّد المعيار. هكذا، قدم بودلير ولوتريامون ورامبو إنجازاتهم الخاصة، من دون التقيّد أو الالتزام بالنمط الذي قدمه «جاسبار الليلي».

وعلى النحو نفسه، لم يلتزم الشعراء العرب - أعلام قصيدة النثر - بما قدّمه أنسي الحاج والماغوط، في بداياتهما الصاخبة، من آليات وتصورات لكتابة

النقاد والباحثون نمطًا جديدًا من القصيدة.

وعلى النحو نفسه - تقريبًا - سنجد الوضعية نفسها تتكرر - بعد قرابة القرن - في قصيدة النثر العربية، منذ «لن» أنسي الحاج إلى قصائد/أنماط شعراء السبعينيات من القرن الماضي إلى أحدث جيل شعري عربي.

ذلك يعني أن «قصيدة النثر» العربية قد تحوّلت - بعد مرور نصف قرن على تأسيسها - إلى «نوع» شعري مستقل، يناظر «القصيدة المنظومة» (سواء العمودية أو التفعيلية)، ويطوي داخله «أنماطًا» متميزة، ولم يعد مجرد «نمط» شعري مُفرد، ضمن النوع الشعري العام. لقد تأسست قصيدة النثر سواء في فرنسا القرن التاسع عشر - أو لدينا، في النصف الثاني من القرن الماضي - كنص مفتوح، متعدّد الاحتمالات، منذ اللحظة الأولى لولادته - سواء لدى الشاعر المفرد أو مجموعة الشعراء - لا كنص مغلق نهائي ذي بنية أحادية. وذلك ما يفسّر تعددية النماذج الكتابية للنص في فترة زمنية محدودة (مقارنةً بالقصيدة العمودية، السكونية، المغلقة، على سبيل المثال). فهي لم تنطلق من

الماضي إلى ما هو أبعد من
«الجَد/الجَدَّة».

حالة من انسحاب «الأنا» من العالم
الواسع بتضاريسه المختلفة، وتأسيس
عالم بديل، يمكن السيطرة على عناصره
الأولية المحدودة، والحميمة: شفة
الحبيبة، سجادة البهو، القمصان البيضاء،
الأم والأخت والشقيق، البنطلون المرمي،
جسد الحبيبة، التنورة القصيرة، المدفأة
القديمة، الشرفة المشمسة، السجارة
الوحيدة، يد الجار، الأتوبيس.

هي «الأنا» الراهنة، بالمعنى المادي
المباشر، ذات الخصوصية
«الشخصانية»، بلا إحالات أو رموز، أو
امتدادات أبعد من نفسها. لا تعبر إلا عن
ذاتها، ولا ترى سوى أشواقها الداخلية
وهمومها وإحباطاتها وأحلامها وكوابيسها
العادية. هي «أنا» الذات العادية
البسيطة، بلا أحلام أو رؤى كبرى وجودية
(لا أحلام - أو شعارات - بتغيير العالم، أو
مواجهته، أو فضحه. لا نبوءات، ولا
اتهامات. لا «الشاعر الرائي» الذي بشر به
رامبو، وحاوله بعض الشعراء الأوائل
لقصيدة النثر العربية).

و«الآخر» - في القصيدة - ليس العالم
المُعادي، والآخرين المتربّصين، كقوى

القصيدة، وانطلقوا ليكتشفوا طرقهم
الخاصة وأصواتهم الفردية المتميزة.

ولأن الثقافة العربية محكومة - منذ
قرون - بـ «الواحدية» ورفض التعددية،
بقياس الراهن دائمًا على السابق
(باعتباره المعيار المثالي، الصالح لكل
زمان ومكان!)، أي بمطالبة الراهن ضمنيًا
أن يكون إعادة إنتاج للسابق، فثمة قبول
على مضمض - في دوائر قصيدة النثر - بما
يكتبه شعراء الأجيال المتأخرة.

والاتهامات الموجهة إلى هذه القصيدة
الأخيرة هي - في أفضل تأويلاتها -
تحريف لملامح فنية خاصة لنمط جديد
في «قصيدة النثر»، لا يشبه السابق،
ويبحث - أو يكتب - صيغةً أخرى
مغايرة.

ويصلح ديوان «حرير» لعماد فؤاد
نموذجًا لقراءة هذه القصيدة الأخيرة.
وأول ما يلفت في هذه الصيغة - النمط -
هو تقليص مجال الرؤية الشعرية إلى
حدود الذات الراهنة (كان المجال
مفتوحًا - في ما قبل - إلى حدود الكون
والوجود، بجذورهما الشمولية،
وامتداداتهما المطلقة). فالعالم يتقلص
من الإنساني العام، الكوني، إلى «الذاتي»
الأقرب إلى «الشخصي»؛ فيما لا يذهب

بذلك، تقلّص الكلمات من قيمتها الصوتية، لتقتصر على قيمها «التعبيرية» التي تنقل «الشعور» أو «الانطباع» أو «الحدس» (لن نجد تلك التوافقات الصوتية، والجناسات، وأشكال السجع، والصوتيات الحروفية - بين الكلمة والتالية لها - التي عَوّض بها آباء قصيدة النثر كسر الإيقاع التّظمي إلى إيقاع صوتي داخلي).

تخفت الكلمة - المفردة من ثقلها وكثافتها - المعهودة في النص الشعري - إلى أدائها دورًا أقرب إلى التوصيلي، إلى نقل الإحساس والشعور والصورة المتكونة في داخل «الأنا» المتكلمة. لا ازدواجية في المعنى، ولا تلاعب في الدلالة، ولا مواربة في الإيحاء.

وذلك ما امتد إلى «اللغة» كلها: لغةٌ متخفّفة من تاريخ اللغة، وتراكمات الإيحاءات والدلالات، إلى لغة راهنة مقطوعة الجذور - أو تكاد - بماضيها الطويل؛ لا تُحيل إلّا إلى دلالتها الحالية - المضارعة - الأقرب إلى «الاستعمالية»؛ لعلّها - من دون قصد - تلك اللغة التي كان يدعو إليها توفيق الحكيم - «اللغة الوسيطة» - للتوفيق بين لغة الأدب

وجودية (إنسانية بطبيعة قَدَرية) ذات هيمنة وشر شاملين؛ بل هم أعضاء العلاقة «الذاتية» الحميمة وأشياؤها التفصيلية. وهي علاقة تواطؤ، أو توافق، أو تجاوب، في شكلها العام، بما هم وجوه أخرى للذات نفسها، أو بعض أعضائها «الخارجية».

فهي قصيدة التواصل الذاتي مع الذات، بحثًا عن التكامل والتحقق الداخليين بلا شروخ أو انقسامات، بلا تضاد مع العالم الخارجي المحيط - الموضوعي - الذي لا يبين في القصيدة، كأنه غير موجود في أيّ من تجلياته. ولأنه منفيٌّ، بالوعي أو اللاوعي، فلا مجال للاشتباك معه، بأي شكل.

هكذا تتحوّل نبرة الخطاب إلى «الهمس» و «البوح» و «الصوت الخفيض» (لا مجال للصراخ أو الاتهام أو الحدة) لا جلجلة أو شنشنة أو قعقعة، بالتالي: لا خطابية أو منبرية. فالخطاب ليس موجّهًا إلى «الخارج»، الآخر/ الخارجي، وبالأحرى إلى «جمهور»؛ إنه موجه إلى الذات نفسها، كأنها تكلم نفسها في مناجاة داخلية لا يسمعها أحد، أو تهمس بأسرارها إلى الحبيب.

بلا رموز أو استعارات أو اتكاء على رصيد
الذاكرة الثقافي/الشعري.
هكذا، تبدو قصيدة النثر العربية الراهنة -
في جيلها الثالث (بالمعنى التقريبي) -
قصيدةً أخرى، مغايرة لما سبقها من
أنماط، مؤسّسةً لنمطها الخاص ذي
الملامح الفارقة. وهو نمط قابل للتطور
والتغيّر في ذاته نحو مزيد من البلورة
(شعراؤه لا يزال أمامهم متّسع من
الزمن للكتابة)؛ لكنه - في كل الحالات -
لن يتجّه إلى الوراثة.

عن صحيفة "الحياة اللندنية"

19مارس 2008

«الرفيعة» ولغة الصحافة «الجارية»،
للاقتراب من القارئ اليومي.
لغة سردية وصفية لمشهد - أو حدث -
يبدأ اعتياديًا، لكنه يتمخض عن مفارقة
ما، تحقّق الشعري في النصّ النثري.
ليس مشهدًا - أو حدثًا - كبيرًا، شاسعًا،
مترامي الأطراف، بل محدودًا، جزئيًا،
كتفصيلة أو هامش «يومي»، ذا بنية
بسيطة تقوم على التتالي المنطقي -
زمنيًا - للسرد (لا تأملات، ولا تشوفات،
ولا تجريد).

فالصورة الشعرية هي تلك الصورة
الجزئية الناجمة عن «التضارب» أو
«المفارقة» أو «المفاجأة» في العلاقة بين
العناصر المحدودة في النص، أو في وقعها
على الذات «الانطباعية». صورة شفافة،

بكدمة زرقاء من عضة الندم" اللغة المحسوبة لا بالفصاحة وإنما بالهباء المرمي بعناية

أكرم قطريب

والقسوة والوحشة الضاربة في أعماقه
دون مستند. على هذا النحو، في اللغة
التي لم تتغير كثيرًا مع الزمن ومع
التغيرات الاجتماعية، استطاع أن بأسرها
بالعبث والحزن أحيانًا والمرح في أماكن
أخرى، والعاطفة باعتبارها عملاً من
أعمال القلب. وهنا إزاء كل هذه الشعرية
العميقة سيرتبط النص بالسديم الخفي
للحدث اللغوي يعيد صناعته على مهل،
والذي سيكون الركيزة الأساسية لصياغة
المعني والوصايا:

"قالت له أمه

لتكن تلك أتكأتك في البعيد
صوتك الذي ترفعه خفية في
الظلام
يدك التي تبطش بها الآخرين

"ملك الملوك أنا
صولجاني مُشهر في يدي
ونصل خنجري لا يستثني أحدا
عرشي.. لا يزول
ويسمّونني: الألم"
ربما لن نستطيع أن نتعلم ما هو الشعر
أو تلك اللحظة التي لن نسكنها بالأصابع
المعقوفة، هنا في اللغة الأصل للخراب
الشخصي، أو خيبات الأمل التي ترتجف
لها الشفاه سندرك كنهه وأصداء الأسلاف
المعلّقة داخل الإطار المذهب، حيث لن
يمكن لأحد أن ينقذ الآخر من الغرق في
ديوان الشاعر "عماد فؤاد": "بكدمة زرقاء
من عضة الندم" "دار شرقيات، القاهرة
2005"، ثمّة ما يوجع في هذه الرحابة
اللامتناهية للجسد، لأعماله ولذّته
وخساراته، في المدّ والجزر، في التألم

ودمعتك التي تبكيها عليهم"
ص74.

ثمّة عصيان ما يغلف القصائد، عصيان مبسّط ومجرّد وشديد الأثر هنا، وفي كل مكان، حيث تتزعرع التراجيديا والخلاعة والحسيّة المأخوذة من زمن الجسد، هنا باللغة الحائرة ثمّة علامة سرّية تتلاشى بوجوده المؤلم والمحيّر معًا، جسد معدّب وممسوس في لقاءات مرئية وكاسرة.

اللغة والمجاز وجماليات الغنائية الفضفاضة جميعها مصاغ في حكايته الشعرية برهة من جمال الفكرة، وبرهة لذلك التناوب بين السرد والحبكة البسيطة في النهايات الواسعة. ثمّة راو ماهر يختفي تحت جبة الشّاعر اللاهث وراء التعبير المضطرب، وإن كان يحاول أن يُخفي النسب الأصلي لذريعة التداعي والمكان العارض وقوة العاطفة واحتدامها. لأقل كل هذه الانفعالات الذكية كانت تقبض على مثلها الجمالي في لغة محسوبة لا بالفصاحة وإنما بالهباء المرمي بعناية.

كتابة مشغولة هي بنت حساسية جديدة في الشعر المصري ملفتة مثل هدي حسين وإيمان مرسال وجرجس شكري

وآخرين، وتمرس على أن يكون الشاعر شاعرًا في مدينة افتراضية ولكن ليست لها أية حدود، حيث ما لا نستطيع وببساطة تامة لن يكون هنالك حافة نجاة محتملة طالما قبلنا بالإقامة في المناطق التي يمر فيها الطوفان على حين غرة. فكل آثار الجمالية لن تمحو علاقة الفن بالحياة، بل هي أحد أهم مصادرهما.

والشعر برأيي لن تكفيه شياطين وادي عبقر ليكتفي بنفسه، ويكرس نوعًا من انعزالية اصطدمت بجدران اللغة والنحو الشعري المركب. إنه ليس سفرًا كولومبيًا، بل واحد من بنّائي مستعمرات الجمال على الأرض. تقودنا قراءة الكتاب إلى التآرجح الأسلوبي بين مستويين في طريقة استخدام اللغة: مستوى بلاغي تتخلّله الحكمة ورؤية العالم من فوق، ومستوى تأخذ فيه اللغة دور الراوي في الوصف والسرد والعيش. فبين قصيدتين هما: "لاعب الشطرنج... ذو الابتسامة" و"كنيع وحيد في الرمال" ثمّة صوتان أو لأقلّ زمانان لكل منهما: الأولى مشغولة في رسم ملامح الأجنبي، (ابن سلالة الفلاحين... الكهل الذي أسره عساكر هتلر وسحبوه عنوة إلى خرائب ألمانيا). أما الثانية فيتخلّلها النفس الملحمي في زمن

قصير، زمن مبتور، مكتوب على سرعة وتبرّم قام بإنهائه في اللحظة التي كان عليه أن يكمل، فظهرت الشخوص المقصود الكتابة عنها ككائنات نسيان بامتياز: (رومانسيون بالسليقة / وحزاني بالفطرة / وبريئون). فظهر الخطأ هنا كنوع من كفاءة شعرية كسرت الاسترسال المحتمل وغيرت وجهته على هذا الشكل الضال والمنقح، في هذه الصيغة المفارقة سنشعر بقوة الزمن المهزوم داخل كل قصيدة، زمن هارب وملتاع أفلت من الرومانس والعرافة مكتفيًا بذلك الصرير القاسي للاستعارة داخل الكلمات، بنسخة الجسد المحترقة الممسوكة باليد، مطلقاً على الما وراء المقيم في الجانب الآخر من الواقع وهو يقرب الأصوات والأشكال والمدن والأشخاص والصفاف إلى بعضها كما يفرقها في أحوال أخرى، سنصغي إلى المد والفقدان والضحك المر الذي هو نوع من رسوم تخطيطية لطيور المجاز المحلقة على ارتفاع منخفض. فمن (الكهل ابن الستين الذي شرب السجائر الأمريكية المهربة مع الأتراك الأجلاف في ضواحي

موسكو القديمة)، إلى (سيدة البيت التي كلّمًا فتحت شفتيها تعلم البنات)، إلى الذي (قالت له أمه: يدك التي تبطش بها الآخرين ودمعتك التي تبكيها عليهم). ففي صيغة الوجود هذه تلتمع المناطق الغامضة، التي يمشي فيها الغريب، الابن الضال لحدائث غير مشروطة والذي يحاول دخول العالم العام والانخراط في مجراه، يذكرني برحلة بحث "سنتياغو" الراعي الأندلسي عن كنز مدفون قرب الأهرامات في رواية "الخيميائي" ل"باولو كويلو"، في "بكدمة زرقاء من عصّة النّدم"، يكشف "عماد فؤاد" عن البعد الثالث لتجربة تقبل العالم لا رفضه، وكل المعني المرسوم في القصيدة هو نوع من حنان وحيدة وارتباك دون أن يتلاشى أو يتبدد، الماضي والأحاديث ووجوه النساء القرمزية المشبوبة إلى بورتريهات الوحشة وصورة السنوات المكسورة الإطار أمام الجمال الغريب، المكثف، والمتوحش حين يضيئها كل ما هو شخصي، مرمي في تلك الحدود الفاصلة بين الفن وبين ما هو معاش.

القدس العربي 4 نوفمبر 2005

أشكال تابوات المكان

عناية جابر

المفتوح، وغَيَّرْتُ ألوانَ جدرانِ بيتنا كي
يحلو لها تخيُّلُ البحيراتِ التي تترقرقُ
خلفَ حجارةِ الغرفةِ

غبيبةٌ.. وتتركُ نفسها فريسةً للموتِ، لم
تقاومُ ولم تجزُعْ ولم تصرخُ ولم تبيكِ
ولم ترفعِ إلى عينينِ واسعتينِ
مملوءتينِ بالتَّدى المملحِ كي تناشِدني
أن أترجى الموتَ يتركها نائمةً في
حضني."

ولكن هذا العنف الشكلي، العنف الذي
يُعاتب العنف على عنفه، وهو التيمة
الغالبية على مجموعة "عماد فؤاد"
الجديدة، لن ينجو من تساؤلنا: كيف
يمكن للشعر أن يندمج مع الأذى
الحقيقي، مع الموت الذي يطال
الكائنات كلها، ويغدو التعويذة السحرية
لعالم الشاعر وعالم قصائده؟ هل يعني
ذلك أن إمكانية الشعر في عالمنا
الكافكاوي الراهن، تصبح قدرًا شخصيًا

الصور، الكلمات، المعاني، وحتّى الجُمْل
في التّصوص الشعريّة في مجموعة
الشاعر المصري "عماد فؤاد": "عشر
طرق للتّنكيل بجثّة" الصادرة حديثًا عن
"دار الآداب" على عنفها، هي جزء من
الشّعر أيضًا، العنف الذي يقدّم إمكانية
إضافية للشّعر، إمكانية جوهرية ليست
عنفية كما تبدو في الشّكل، بل رثاءة
وباكية للجمال الذي أهدمه الأذى،
وأماته النسيان واللامبالاة:

"غبيبةٌ وتموت!

لا تعرفُ أنّي تعبتُ حتى وجدتها

لا تعرفُ أنّي أهدرتُ من عمري عشرةً
أعوامٍ في محبّتها، زرعْتُ ورودًا كي تزهرَ
في الصّباحاتِ التّديّةِ أمام شبّاكها

للقصائد؟ قصائد قصيرة، ونصوص شعريّة يغلب عليها طابع السرد أحياناً، يُخَيّل لي أنّه كتبها في أوقات تفترق فيها صورة طفولة الشّاعر بما هي جمال خالص، مع الحياة نفسها، وتقف حرّة وطريّة ومزعّبة تنتظر أن يكتبها الشّاعر، ويتذكّرها جيّداً، ورويداً رويداً تبدأ تحكمه بجمالها، لأنها أكثر حقيقيّة، من أيّة حقيقة حدثت في ما بعد. الطفولة، التي هي محبّة فائضة، بعد أن كبرت وهرمت، لم يعد لديها أيّ نية أن ترفع إصبعاً من أجل الشّاعر، من أجل سعادته وأمنه، بينما الموت الذي يطال الحبيبات والفراشات، على استعداد

لعمل قدر الشّاعر، قدره الذي لا يشعر بمسؤوليته عنه.

"عماد فؤاد" الشاعر المصري المقيم في بلد أوروبي، حرر قصيدته من تابوات المكان، وخوضه الشعري من التّلعثم، فعلامه الشّعري جيّد ليست في رفته ولطفه، بل في كل تلك التركيبات الأصليّة والمشاهد الحقيقيّة، التي تحتفظ بها العين والذاكرة، ويدافع عنها الشّاعر بكل جرأة، بما فيها نقط الدم، والكدمات الداكنة على الجثث.

صحيفة السفير

الأربعاء 11 أغسطس 2010

"الحالة صفر": ذهاباً بالشغف إلى آخره

حسن داوود

هذا راجع إلى طوافها طفلة مع أمها في الرحلات التي لا أهمية فيها لمكان الانطلاق أو مكان الوصول، لكن نعرف أيضاً أن التبرؤ من الانتماء، غير المصحوب بالإحساس بخيانة الأصل هو من ثقافتها الأوروبية. ذلك لا يهم كثيراً على أي حال، طالما أن الرواية تجري بين شخصين منقطعين عن العالم، موجودين معاً، مبعدين كل خارج ومبقيانه في حدوده الضرورية الدنيا.

الرواية إذن تجري في داخل لا تتعدى مساحته الخمسة والأربعين متراً. وإذا ما أراد بطلاها، أو راويها، الخروج فإلى تلك المقاهي الضيقة هي أيضاً، وإلى الملاهي الليلية التي، وإن صخبت أو اتسعت مساحتها، لن تزيدهما إلا تداخلاً في الرحلات القليلة التي يقومان بها من مكان إقامتهما غير المتعین في الرواية، إلى أمستردام من أجل التزوّد بـ"المؤونة" يبدوان مقفلين على المشاهد التي يمرّ بينها القطار. لا أذكر،

يمكن لميشيل أن تكون بلا أم. تلك المرأة الهيبة التي كانت تنتقل بين البلدان بسيارتها الفولكس فاغن، كان يمكن لها ألا توجد في الرواية. وكذلك الشاب الذي هو أحد راويين جرى الكتاب على لسانيهما. افتراض أن يكون الراوي هذا هو نفسه الكاتب، عماد فؤاد، قد يزيد مساحة إضافية لذلك العالم الضيق الذي تجري فيه حياة الإثنين. في جمل عابرة لم يعد إليها أبداً يذكر هو شيئاً عن طفولته في بلده مصر، لكن ذلك لا يهمّ إلا إن أردنا أخذ الرواية إلى مناشيء بطليها وأصليهما ساعين إلى إدراجها في واحدة من الثيمات الشائعة في الرواية والثقافة العربيتين. في وصف بديع لميشيل قرأنا أحد النصوص الأكثر إقناعاً عن انقطاع الجذور بين الإنسان وأمكنة انتمائه، وطنه أو أوطانه. نعرف طبعاً أن

بعد قراءتي الكتاب، أنه أوقفني عند مشهد خارجي. فقط تلك النبتة، نبتة الماريغوانا التي جاء بها من أمستردام أيضًا، ليزرعها منتظرين أن يكفيهما حصادها أربعة أشهر، حظيت بذلك الوصف الذي تابع نموها، والذي وصل معها إلى استلقائها يابسة على الطاولة، بلا روح، بعد أن جرحتها يدهما لتُخرجا منها ما حملته لهما.

ذلك التداعي، الذي لم يتوقّف أبدًا في مدى صفحات الكتاب، قلما اكرث بالخارج، سواء الخارج القريب، في داخل الغرفة، أو الخارج المتعدّد البعد. تطلّب ذلك قدرة هائلة من الروائي (لأوّل مرّة بعد خمس مجموعات شعرية) أن يبقى في ذلك التخاطر، الحقيقي والخيالي بين الكائنين اللذين وضع كلّ منهما الآخر في مقابله، ناحيًا إياه من الداخل والخارج، جسدًا وروحًا. يجري الكتاب متقطّعا أو متداوّلًا بين الراويين: هو ثم هي، هي ثم هو، ولا يهمّ أن يلي أحدهما نفسه فيستمرّ في الوصف والتخيل والتذكّر والتداعي في إفاضة نروح نُدهش من خرقها المستمر لما سبق لنا أن قرأناه عن الشغف الجنسي والروحي، وعن التوحّد سواء في الآخر أو

في الذات. كما ندهش أيضًا من ذلك الوصف القاصد دائمًا إلى الذهاب بما يصفه إلى نهايته الأخيرة. لسنا هنا إزاء خاطرات شعرية عن الشغف، بل كتابة شاعت ربما أن تكون كتاب موضوعها التام، كأن نقول كتاب الحب مثلًا، أو كتاب العبادة.

ذلك تطلّب قدرة لغوية قادرة على مرافقة الأفكار ومماشاتها. ربما كانت الفكرة وكلمتها، أو لغتها، شيئًا واحدًا، لكننا نطلّ مع ذلك، فيما نحن نقرأ، نتساءل كيف أمكن للمفردات أن تصل إلى هنا.

"الحالة صفر" كتاب نادر، ليس لجهة موضوعه، بل لجهة كتابته. ضرب من مخاطبة صوفية تجري بين متخاطبين أو معترفين أو متعبّدين. كما تذكّرنا بمواصلة أكثر عمقًا وبعدها لمحاورة "نشيد الإنشاد". في أحيان تذكّرنا هذه الرواية بأعمال كتابية أو فنية نقلت موضوعها إلى مكان أبعد بكثير من ذلك الذي كان، أو استمرّ، حالًا فيه.

"*الحالة صفر"، رواية، عماد فؤاد، صدرت عن "دار ميريت" بالقاهرة، 180 صفحة، 2015.

موقع "المدن" الجمعة 10/04/2015



ليس معنياً بإرضاء أحد..

حوار مع عماد فؤاد:

قصيدتي رد اعتبار للشعر الذي أومن به

حاوره: حسن عبدالموجود

- التحقت بالكتاب في صغري واكتشفت فيه ولعي باللغة
- جذوري الشعرية تعود إلى ما أحب أن أسميه بـ«النصوص والأماكن المؤسّسة»
- تعلّمت العروض حتى أصبح «لعبة» نفرت منها سريعاً في قصائدي الأولى
- علي شلش أول من اكتشف موهبتي عبر إذاعة لندن في 1993
- صيحة قصيدة اليومي فخ لم ينجُ منه إلا الشعراء الحقيقيون
- لا ترى ملامح السن على وجهي.. لكني أشعر بها في سلوكي
- لست من أنصار فكرة «رص» القصائد بهدف أن تكون «ديواناً»
- نشأتي المراوحة بين القرية والمدينة كانت أحد مصادر الشعر بداخلي منذ البداية

■ من الصعب اليوم أن أوّمن بفكرة الأبوة في الكتابة أو الأدب

إذا طالعت دواوين الشاعر المصري عماد فؤاد فلن تجد بينها ديواناً أقل من الآخر، حتى أول عمل لا يبدو كأنه «شغل بدايات». يمتلك عماد عقلية مكّنته من الحفاظ على مستوى جودة قاده إلى الجلوس بين شعراء الصف الأول عربيّاً. وصل إلى الخمسين من عمره، وصارت لديه سبعة دواوين، وتجربة تمتد بين مصر حيث نشأ، وبلجيكا حيث يقيم ويعمل، تجربة تستحق أن تُروى فقد تكون منارة لشاعر شاب يخطو في أول الطريق. الحوار يتطرق إلى ديوانه الجديد «معجم الحواس الناقصة»، وقبله يروي سيرة التكوين.

-كيف عرفت أنك ستكون شاعراً؟

أول بذور الشعر بداخلي كانت بفضل ذهبي للكتاب في صغري، فأنا وإن كنت نشأت في القاهرة منذ الثالثة من عمري، وفي شبرا الخيمة، أحد أكثر أحيائها الشعبية عنفاً وعشوائية، إلا أن أبي قرر إلحاقى بكتاب قرينته خلال شهور الصيف. وفي هذا الكتاب اكتشفت ولعي باللغة قبل أن أفر منه نهائياً بعد عدة سنوات بسبب قسوة الشيخ الذي لم يكن كفيفاً كما يحلو للدراما أن تصوّر شيوخ الكتاتيب، بل كان رجلاً قصيراً ويملك عيني صقر. لم يكن كتاب شيخنا غرفة أو صالة أو حتى سطوح بيت، بل مساحة مفتوحة خلف داره تطلّ على ترعة راكدة تمرح فيها الثعابين والفئران والضفادع، وكم صُربت بعصا الشيخ؛ لأنني أشرد بعيني هلجاً خلف الثعابين

والفئران، وخاصة حين ينجح ثعبان في العودة غانماً بفريسة رغم الرقابة الصارمة لعيني شيخنا الذي كان ما أن يلمح ثعباناً يتلوى في مياه التربة، إلا ويعاجله بضربة من حجر. في هذا الكتاب ضُربت لأول مرة في حياتي؛ لأنني أخطأت في تشكيل آية قرآنية، وفيه أيضاً تعلّمت مبادئ الخطوط العربية والكتابة على اللوح بقلم (البوص) المبري.

أما البذرة الثانية لمحبة الشعر فقد كانت بفضل مسلسل تلفزيوني مصري اسمه «مارد الجبل» من إنتاج 1977 كان يُعاد عرضه في بدايات عقد الثمانينيات من بطولة نور الشريف وإخراج نور الدمرداش. لاحظت أمي أنني بدأت أتفوق عليها في متابعته. جسّد نور الشريف فيه شخصية الفارس الشاعر المغامر الراغب في إقامة العدل؛ لأنه لا عدالة في الأرض لاحقاً اكتشفت أن جميع أغاني وحوارات المسلسل كتبها الشاعر عبد الرحيم منصور. بعدها أسرني مسلسل «الأيام» لطف حسين بالأداء العظيم لأحمد زكي، وكان سبباً في بداية قراعتي لأعمال طه حسين نفسه الذي سحرتني طفولته، وخاصة معاناته مع شيخه في كتاب القرية مثلي مع شيخي. كما أذكر أنني في بداية مراهقتي كنت مولعاً بالمسحراتي لفؤاد حداد وسيد مكاوي، وأتجمّد أمام التلفزيون حين يأتي في ليالي رمضان، كما أحببت المربعات الشعرية التي كان الرسام حسين بيكار يكتبها ويرسمها في الصفحة الأخيرة لصحيفة الأخبار، وما زلت أحتفظ بإحدى أجندات عام 1986، وهي مملوءة بما كنت أسخه بالكربون من هذه المربعات شعراً ورسمًا، وهذه المربعات أيضاً هي التي أوصلتني لمربعات صلاح جاهين لاحقاً. كل هذه العوامل وضعتني منذ البداية أمام محبة الشعر.

- ما مصادر تكوينك؟ من أين يأتيك الشعر؟

في البداية لم أكتب الشعر، بل أحبته إلى حد القداسة، ولم تراودني الرغبة في كتابته حتى سن الرابعة عشر تقريباً، حينها كنت بدأت أتعمّف عن الاستمرار في ما أقرأ من روايات ومجلات المراهقين. وبدأت روايات الهلال وسلسلة «كتابي» وكتب توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف إدريس وغيرهم تحتل المكان الذي كانت تشغله روايات أرسين لوبين وأجاثا كريستي ورجل المستحيل والشياطين ال13. وقتها كان الشعر بالنسبة لي هو ما أقرأ في كتب المدرسة إلى أن قررت أن أكتب قصة قصيرة

بعنوان «عازف الناي». كتبت القصة وبدأت أقرأها لأصدقائي في المدرسة إلى أن وصلت سمعتها إلى «أستاذ جودة» مدرّس اللغة العربية في المرحلة الإعدادية. حينها كانت رواية «غادة رشيد» لعلي الجارم مقرّرة علينا، وكان أستاذ جودة مدرسنا للغة العربية يعرف ولعي بالرواية وبشخصية زبيدة، فدخل علينا الفصل، وتقدّم ناحيتي، وطلب القصة مبتسمًا. وبعد أن قرأها سحّني إلى الخارج، وقال لي: إن ما كتبتّه هو أفضل بكثير من موضوع تعبير، لكنه ليس بقصة مكتملة، وعليّ أن أستمّر في الكتابة حتى أتأكد مما كنت أمتلك موهبة أم لا، والحقيقة أنني حتى اليوم ما زلت أكتب ربما لذات الهدف: أن أعرف إن كنت «موهوبًا أم لا» كما صاغها أستاذ جودة الذي أدين له بالكثير.

-عمّ كانت تدور قصائدك الأولى؟ وكيف أدركت موقعك في سلم الشعر؟ من شجعك؟ وكيف انتقلت إلى مرحلة احتراف الشعر؟

هذه أسئلة يحتاج كل منها إلى سطور عدة، كانت قصائدي الأولى ساذجة، وكانت عن الحب أو قصائد ذاتية عن الوحدة والارتباك الذي يعانیه مراهق يكتشف العالم والروابط الإنسانية المحيطة به، وكان ابن عم لي هو أول من شجعني على الاستمرار في الكتابة بعد أستاذ اللغة العربية في المرحلة الإعدادية، وبدأ يزوّدي بكتب لتعلّم بحور الشعر وعلم العروض وقتها كنت في الثامنة عشر من عمري، كان ذلك في عام 1992، وكنت بدأت أأخذ أعدد مجلتي «إبداع» و«فصول» اللتين نشتريهما بالجملة من أكشاك سور الأزبكية في معرض الكتاب، وأمّسك كل قصيدة منشورة في هذه المجلات لأفككها عروضيًا، وأبدأ في التلاعب بجملها وأعيد صياغتها من جديد على البحر نفسه. كانت هذه «اللعبة» بمثابة تمريناتي الذاتية لتعلّم العروض، ورغم ذلك لم أكتب الكثير من القصائد التفعيلية. ما أن تعلّمت العروض حتى قررت عدم الكتابة بالتفعيلة نهائيًا، وتحررت تمامًا من بحور الشعر في قصائد عملي الشعري الأول. أما عن إدراكي لموقعي في سلم الشعر فله حكاية طريفة، وهي أنه في عام 1993 تقريبًا كان هناك برنامج إذاعي يقدّمه الناقد الأدبي الراحل علي شلش على إذاعة لندن بعنوان «مع الشعراء»، وفيه كان يستقبل قصائد المواهب الشعرية الجديدة ويقرأ منها ما يرى أنه ينم عن موهبة. أرسلت أنا وابن عمي

قصائدنا إلى البرنامج بالبريد العادي. كان البرنامج يذاع في الثلاثاء من كل أسبوع، وكنا نتبادل أنا وابن عمي الزيارات لنستمع إلى البرنامج سويًا على أن نكون جاهزين لتسجيل الحلقة بشريط كاسيت جديد، ومتأهبين للضغط على زر التسجيل فور سماع عنوان قصائدنا أو أسمائنا. انتظرنا أن يذكر قصائدنا لأسابيع دون فائدة إلى أن حدث وعلّق علي شلش على قصيدي أخيرًا قائلاً: «القصيدة التي سنقرؤها الآن ينطبق على شاعرها المثل الذي يقول: إن الأسد في البداية لم يكن إلا بضع خراف أكلت وهضمت جيدًا» متنبئًا لي بأني سأهضم ما أكلته من خراف سريعًا، وكان يقصد تأثري بالشعراء الذين أعلنت له عنهم في رسالتي؛ لذلك أعتبر أن علي شلش أول من اكتشف موهبتي.

-لا يمكن النظر إلى كتابك الشعري الأول «أشباح جرحتها الإضاءة» باعتباره ديوان بدايات؛ إذ عكس تجربة شاعر متفرد له صوته الخاص. هل لديك دواوين غير منشورة قبله؟ وماذا يعني صدوره ضمن سلسلة «ديوان الكتابة الأخرى»؟

ربما لأن نشره تأخر عدة سنوات؛ فقد صدر بعد أربع سنوات من كتابته الأولى، أي في 1998. جعلتني هذه الفترة أعيد النظر فيه أكثر من مرة، وأذكر أنني فزت عن واحدة من نسخته الأولى في إحدى مسابقات هيئة قصور الثقافة المصرية عام 1995، وكان من المقرر أن تنشره الهيئة، إلا أنني رفضت الانتظار في «طابور النشر». وكنت وقتها بدأت العمل مع الصديق هشام قشطة صاحب الفضل الكبير على أجيال عديدة من المثقفين المصريين في تحرير مجلة «الكتابة الأخرى»، والذي تحمّس لنشر قصائدي في المجلة من قبل، لكنني وجدت نفسي وقتها في قلب المشهد الثقافي، وبدأت أطلع على ما يُكتب من حولي، وهو ما دفعني إلى التريث في إصدار الكتاب. كنت متشككًا في موهبتي إلى أن قرّر هشام عام 1997 إصدار ثلاث مجموعات شعرية لثلاثة شعراء جدد لم يسبق لهم النشر من قبل، واختار الشاعرين الصديقين: الراحل إيهاب خليفة، وزهرة يسري وأنا. وبسبب عملي معه في المجلة أصر هشام أن يصدر عملاً إيهاب وزهرة قبل كتابي؛ كي لا يُقال: إنه نشر لي مجاملة لعملي معه في المجلة، وصدر الديوان بالفعل في أبريل 1998، أي بعد عام من صدور العملين الآخرين.

-أي منذ 27 عامًا.. هل يثير هذا الرقم استغرابك الآن؟ كيف مرت عليك تلك الأعوام: سريعة أم بطيئة؟

سريعة جدًا أسرع مما تصورت. تخيّل أنني حتى اللحظة أخطئ في كتابة التاريخ وأكتب 19، ثم أنتبه أننا الآن في 2025 وليس في عقد التسعينيات!

-كيف رأيت صيحة قصيدة اليومي والعابر في التسعينيات؟ وكيف تراها الآن؟

أحد فخاخ الشعر الذي لم تنج من الوقوع فيه إلا قلة من الشعراء الحقيقيين.

-الاستمرار في النشر داخل مصر.. هل يعني أنك تربط نفسك بحركتها الشعرية؟

هل يهملك موقعك في الخريطة المحلية؟ هل أنت مهتم بالتصنيف الجيلي؟

حرصى على النشر في مصر يأتي لعدة أسباب ليس من بينها ما ذكرته، وأنا «مربوط» و«مرتبط» بحركتها الشعرية سواء أردت هذا أم لم أرده؛ فأنا شاعر مصري حتى ولو غادرت مصر منذ 21 عامًا، وحتى لو حملت جنسية بلد آخر. أحرص على النشر في مصر؛ لأنني جربت النشر في عواصم عربية مثل بيروت والجزائر، ولم تكن التجربة مثمرة على مستوى مقروئية العمل؛ لذلك أحرص منذ سنوات على نشر كتبي في القاهرة، فهنا قارئى الحقيقي الذي أريد أن أصل إليه أولاً وقبل أي مكان آخر. أما عن موقعي في الخريطة المحلية فلم أكن معنيًا به أبدًا؛ لأنني مؤمن بأن البحث عن هذا الموقع ليس مهمتي أنا، بل مهمة ما أكتب بمعنى أن دوري ينتهي عند ما أقدمه من كتابة، أما غير ذلك فليس من شأني. ولذلك تجدني غير معني أبدًا بإرضاء أحد، وقصيدي رُدُّ اعتبار للشعر الذي أومن به، ولست مهتمًا بالتصنيفات الجيلية؛ فهي صنيعه النقاد الذين تعودوا تقسيم الكُتّاب إلى جماعات ومراحل ليسهل دراستها عن قرب.

-تجاوزت الخمسين.. ولكن السن لا يظهر على وجهك، هل يعكس هذا شيئًا

داخليًا؟ هل تشعر في داخلك بأنك صرت كبيرًا؟

تخطّيت الخمسين بعام في أكتوبر الماضي، ورغم ذلك أشعر أنني لم أكبر بعد. ربما لا ترى ملامح السن على وجهي، لكنني أراها وأشعر بها في سلوكي، وأتصور أنني أحيًا واحدة من أفضل فترات حياتي وأكثرها تركيزًا وكتابة وإنتاجًا، وهي فترة تأتي بعد

سنوات عصيبة بدأت في 2011 وانتهت في 2023. خلال العامين الماضيين فقط بدأت أستعيد توازني على العديد من المستويات.

-مَن هم أبأؤك الشعريون؟ ماذا يقدمون لك وللإنسانية؟

من الصعب اليوم أن أومن بفكرة الأبوة في الكتابة أو الأدب، لكن من المؤكد أيضًا أنّ ثمة جذورًا متشعبة داخل كل مّا لمنابع متعددة ومتناقضة لأصوله الشعرية أو الفنية، وأعتقد أن جذوري الشعرية تعود في المجمل إلى ما أحب أن أسمّيه هنا بـ«النصوص والأماكن المؤسّسة» أكثر منها إلى أشخاص بعينهم. فأما الأماكن المؤسّسة فهي حيث نشأنا، وهنا أعتبر أن نشأتي المراوحة بين القرية والمدينة كانت أحد مصادر الشعر بداخلي منذ البداية، وما أعنيه بـ«النصوص المؤسّسة» هنا هو القرآن الكريم والكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد إضافة إلى السيرة الهلالية وأسفار التكوين المصرية لمائيتون السمنودي، ثم ولعي بكتابات الجاحظ وأبي نواس والمتنبّي، وأرى أنهم من أكثر كتّاب العربية تجديدًا وتطويرًا. وفي مراهقتي اكتشفت كتّابًا وشعراء وفنانين آخرين غيّروا قناعاتي الأدبية والفنية إلى الأبد: شكسبير وثرانتس ودستويفسكي وجوستاف كليمت وبيسوا وسلفادور دإلى ونيرودا وماركيز وكونديرا، كما هو الحال مع بيرم التونسي وطه حسين وعباس محمود العقاد ويحيى حقي ونجيب محفوظ ويوسف إدريس وفؤاد حداد وصلاح جاهين وأمل دنقل ونعمان عاشور، والقائمة تطول.

-كيف ترى كل عمل شعري لك في بضع كلمات؟

لو اعتبرت أن «أشباح جرّحتها الإضاءة» عام 1998 كان التجربة الأولى لي للتعبير عن صوتي الشعري الخاص فإن «تقاعد زير نساء عجوز» في 2002، و«بكدمة زرقاء من عضة اللّدم» في 2005، كانا بمثابة «معملين» اكتشفت فيهما إمكاناتي الشعرية، شيء يشبه ملعبًا لك وحدك تنفرد فيه بكرتك الخاصة وتتمرّن فيه على ما تستطيعه وما لا تقدر عليه. أما «حرير» في 2007 فقد كان مغامرتي الأولى في الانقلاب على ما كنت أومن به وقتها عن شكل القصيدة الذي قيّد النص الشعري في شكله النثري، ثم جاء «عشر طُرق للتّنكيل بجثّة» عام 2010 بكل حملته النفسية والشعرية ليفجر داخلي إمكانات شعرية أخرى لم أكن أتوقّعها، لكن للثقل

النفسي الذي خلفه هذا العمل الشعري عليّ جاءت «الحالة صفر» عام 2015 كجسر بين الخيالي والحقيقي، وهو الجسر الذي أوصلني في 2019 إلى «تلك لغة الفرائس المحظوظة»، ومنها إلى «مُعْجَمُ الحَوَاسِّ النَّاقِصَةِ» اليوم.

-لماذا تهتم بفكرة (الديوان الكتاب) كما هو الحال في ديوانك الأحدث «مُعْجَمُ الحَوَاسِّ النَّاقِصَةِ»؟

هو ليس اهتمامًا، بل اشتغاليًا. في التسعينيات كنت أشمئز حين أسمع أحدهم يقول: «ما لديّ من قصائد لا يكفي ليكمل ديوانًا». كنت أشعر وقتها أن الديوان مجرد «حصالة» أو «حافطة» لعدد من القصائد، وهو ما تؤكد كلمة «مجموعة شعرية» التي تأتي كترجمة حرفية للكلمة الإنجليزية Poetry collection ؛ لذلك اشتغلت منذ قصائدي النثرية الأولى على فكرة أن يكون العمل الشعري مشروعًا كاملًا في شكل كتاب، وليس مجرد «رَصِّ» للقصائد بين دفتي كتاب ليصبح بقدرة قادر «ديوانًا».

-ما فلسفتك ل(الإيروتيكا) التي ظهرت في الديوان؟

ليست المرة الأولى التي أقترب فيها من الحس (الإيروتيكي) في قصائدي، ولكن (الإيروتيكا) في «مُعْجَمُ الحَوَاسِّ النَّاقِصَةِ» محمّلة بما لا يجعلها مجرد (إيروتيكا)، لكنها تأتي كمبتدأ خبره الصوفية، كما تأتي الصوفية أيضًا مبتدأ خبره (الإيروتيكية) بمعنى أن كلا منهما تقود إلى الأخرى.

-ما الذي منحك إياه الأبوة؟ هل حاولت أن تكون مثل والدك في علاقتك بابنيك؟

بل إني رغبت في أن أكون أبا؛ كي أثبت لنفسي أن هناك نموذجًا أفضل مما منحه لي أبي. الأبوة صنعت مني إنسانًا أفضل، وعلمتني وتعلّمني الكثير.

-هل تنظر خلفك برضا؟

بل بالكثير من عدم الرضا عن نفسي؛ فلست ممن يرضون عن أنفسهم بسهولة!

-وبماذا تحلم للشعر؟

أحلم له بأن يُقدَّر، بأن يُحترم، وأن تُعاد إليه هيئته من جديد؛ فقد ابتذلناه طويلًا، طويلًا جدًّا!!

ملحق عمان الثقافي 1 يناير 2026

”معجم الحواس الناقصة“

مجموعة الشاعر المصري عماد فؤاد:

اختلال فائض لموازنة الجمال بنعمة النقصان

الشيخ عطية

هكذا في مجموعة الشاعر المصري عماد فؤاد الجديدة «معجم الحواس الناقصة»، التي تستفيض في توسيع حدقات قارئها، بخلق حالة اختلال الحواس الشعرية التي تنبض بحالات «التضاد» الجارية من مقولة ابن طبابا «أعذب الشعر أكذبه» إلى مقولة احتمال «أصدق الشعر أكذبه». وإلى كل ما هو صحيح وغير صحيح في مقولات مَنْ قاس على ذلك، وأدخل كلمات الجودة والحسن والقصد والتعجب ليصف الشعر الذي يُغيّر معانيه كلما خضع لقياس، وفق احتمالية ولا يقينية الثبات في الشعر.

«في البدء كانت المصادفة...» و«المصادفة وحدها، جعلت عين الأم تنظر إلى الجبل، فتراه وحيداً، لا يحده شمالاً أو جنوباً، تشرق الشمس فيعرف شرقه من غربه، لكن لا أحد علمه ماذا يفعل كي لا يكون وحيداً.

لعلّ أهم ما يميّز بعض الشعر والشعراء والقراء، هو «العين العميقة» التي ترى ما لا يرى؛ ليس من ظاهر الأبعاد فحسب، من مثل ضرب عنق وردة بسيف صقيع الشتاء في أول الصيف، وبناء ما يُبنى على هذا من معانٍ؛ وإنما من جوهرها المتعلق بالإحساس، ليس من بُعد الحاسة السادسة فحسب، وإنما من الجرأة على توسيع الأبعاد إلى المعنى اللامرئي خلفها أو جنبها أو تحتها أو ربما كذلك أمامها وفوقها. كما عين حوض الاستحمام الذي يرى الجميلة المستحمة من جميع الجهات بوقتٍ واحد، ويعيش متعة استحضاره مأخوذاً كما صوفيّ يدور بأطراف قدم راقصة باليه.

على بعد نظره الكليل، كان يرى نقطة خضراء فوقها سحب وأبخرة وضباب...»
نكتشف أنها المرأة/ الغابة التي «وحدها كانت تفكّر:/ «نعم؛ ماذا لو أن غابة.. / التهمتُ جبلًا؟»؛ وأنه الرجل في ثنائية عشقٍ باذخٍ بالبساطة المدهشة في مجموعة شعرٍ راهنت، لتربح، أن تكون معجم حواس الحبّ الفوّارة بحمم إبروتيكية البركان والمغتبطّة في ذات الوقت بنعمة النقصان.
ما قبلَ خلخلة الحواس:

وعلى طريقة فؤاد في تكوين مجموعته، من ستة فصول تشمل الحواس الخمس تحت عناوين (الصوت، الصورة، الرائحة، اللمس، الطعم)، مضافًا إليها حاسة إحساس القلب الباطنية السادسة معبرًا عنها بـ (الألم)، وفصلين آخرين يُصمّان الفصول بذراعي (ما قبل... وما بعد...).

نبدأ بما قبل نبض الحواس ولا ينفصل عنها الإهداء إلى: «أمي/ أوّل الحروف/ وكامل المعجم»، التي يكشف فؤاد من خلالها أبعادَ منهجه في الشعر، ومنها ما يرد في المقطع الثاني من قصيدة «الرائحة»، مجازًا بخيط البكرة الذي لا يظهر ويُتعب في استخلاصه، بما يعني

طلاقة الشعر الذي لا تحدّه سوى الحيرة،
حيث:

« هذا بالضبط ما أشعر به الآن،
وأنا أحاول أن أشرح ما أنا بصدد شرحه،
فلا أجد مدخلًا
ولا أعتد على عتبة.»

وما يعني في البعد المعادل للحياة، في المقطع الذي يليه من نفس القصيدة:
« لو سألني أحدٌ عن معنى كلمة
"فنّ"

فسوف أجيب: "يُدُّ أمي وهي
تطبُّخ"

ولو طُلب مني أن أقول شعرًا،
لرفعتُ ملعقةً وقلتُ: "تذوّق."»
ويضاف إلى هذه الأبعاد دقّة اللغة المتبلورة في ارتباط إيقاع الكلمة بالمعنى في المقطع الذي يلي مباشرة، بمقارنته وتفضيله كلمة «الصبر»، في العشق، على «الانتظار»، حيث:

« الصبرُ كلمةٌ حادّة، وسنُّها
مشحودٌ على الدوام

تنغرس سريعًا لتبقى طويلًا،
كما لو كانت سهمًا غادر قوسه
ليستقدّر في مكانه إلى الأبد.»

وفي بدايتنا بما قبل نبض الحواس، في بنيتها، نخطو على عتبة تقديم المجموعة:

« وَرَبَّتْهَا فِي خَمْسِ كِرَاتِينَ
فَوْقَ مَكْتَبِكَ
خَذَ مِنْهَا مَا شِئْتَ
وَاتَرَكَ لِي
مَا تَشَاءُ... »
« حَاوَلْتُ أَنْ أَكُونَ عَادِلَةً
وَأُقَسِّمَ كُلَّ مَا نَمَلَكَ إِلَيَّ
لَكِنِّي وَجَدْتُ أَشْيَاءَ لَا تَقْبَلُ
الْقِسْمَةَ... »
« - كَيْفَ؟...
حَتَّى مَلَامِحِ أَطْفَالِنَا
سَيَكُونُ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيَّ
أَنْ أَقْسِمَهَا وَأَقُولُ:
هَاتَانِ الْعَيْنَانِ لِي...
وَهَذِهِ النُّظْرَةُ... لَكَ... »
« بِالضَّبِطِ كَمَا هُوَ صَعْبٌ أَنْ أَقُولُ:
أَعْطِنِي رَائِحَتِي (نَائِمَةً فِي
حُضْنِكَ)
وَخَذَ رَائِحَتِي.
أَعْطِنِي حَبَّاتِ عَرْقِي
وَخَذَ جَبِينِي... »
« وَفِي هَذِهِ الْبَدَايَةِ لَا بَدَّ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى
اعْتِمَادِ فُؤَادِ فِي تَكْوِينِ بَنِيَةِ قَصِيدَتِهِ،
تَقْسِيمَهَا إِلَى مَقَاطِعِ تَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ مِنْهَا
نَجْمَةٌ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَتَشَكَّلُ كُلُّ مَقْطَعٍ
إِلَى قَصِيدَةٍ، مِنْ دُونِ عُنْوَانٍ لِلْأَسْفِ.

« الجسد...
بِوَابُنَا الْأُولَى
بَابٌ لِلْخَطِيئَةِ
وَأَبْوَابٌ مَغْفِرَةٌ مُؤَجَّلَةٌ »
« إِذْ مِنْ هَذِهِ الْعَتَبَةِ يَفْتَحُ فُؤَادُ لِقَارِئِهِ أَبْوَابَ
تَمَيُّزِهَا بِالْمَتَعَةِ وَالِدَهْشَةِ وَالْمَعْرِفَةِ،
وَانْقِلَابِ الْمَفَاهِيمِ عَنْ حَوَاسِنَا الَّتِي
نَسْمَعُ وَنَرَى وَنَشْمُ وَنَتَذَوَّقُ وَنَلْمَسُ
وَنُحَدِّسُ بِهَا الْعَالَمَ مِنْ أَعْمَقِ مَا فِي
جِهَاتِنَا/ ارْتِبَاطِنَا الَّذِي لَا يَنْفَصِمُ عَنِ الْآخِرِ
الَّذِي يَشْكُلُنَا وَيَتَشَكَّلُ بِنَا مَعَنَا كَثْنَائِيَّةً
رِجَالًا وَنِسَاءً. تَعَشَّقُ وَتَعِيشُ مَتَعًا وَمَعَانِيًا
عَشَقَهَا، وَتَنْفَصِلُ لِكُنْهَا (فِي خُطَابِ
الْمَتَكَلِّمَةِ الَّذِي لَا يَأْخُذُ سِوَى مَقْطَعِينَ
طَوِيلِينَ فِي الْمَقْطَعِ الْعَاشِرِ مِنْ قَصِيدَةِ
«الرَّائِحَةِ»، وَالسَّادِسِ مِنْ قَصِيدَةِ «الْأَلَمِ»
فِي مَقَابِلِ خُطَابِ الشَّاعِرِ/ الرَّجُلِ الَّذِي
يَنْتَظِمُ غَالِبَ الْمَجْمُوعَةِ)؛ لَا تَسْتَطِيعُ
الْقِسْمَةَ إِلَّا عَلَى الْوَاحِدِ، بَعْدَ تَجْرِبَةٍ
التَّشَابِكِ الْإِيْرُوتِيكِيِّ عَالِيِ الْقِيَمَةِ، وَالطَّهْرِ
بِفِدَاحَتِهِ الْجَنْسِيَّةِ، وَالْجَمَالِ، حَيْثُ
نَقْتَطِفُ مِنَ الْمَقْطَعِ الْمَدْهَشِ، عَنِ عَدَالَةِ
تَقْسِيمِ الذِّكْرِيَّاتِ كَفِكْرَةٍ تَخَفُّفٍ مِنْ مَرَارَةٍ
مَشْهَدِ الْإِنْفِصَالِ:
« هَا أَنَا جَمَّعْتُ ذِكْرِيَاتِنَا
(حَسَبَ تَوَارِيخِهَا) »

ويعتمد فؤاد في المقاطع/ القصائد،
الطويلة خاصةً على أسلوب تشكيل
القصيدة بأنساق اللازمة، مثل المقطع
الأول من قصيدة «الرائحة» الذي يتشكل
قصيدة بلازمة:

«كي تصل إلى النهر في آخر الغابة» التي
تتكرر، لتنسج قصيدة متكاملة بذاتها وإن
ارتضت أن تكون ابنةً في ظلّ قصيدة أمّ.
ومثل المقطع الثاني في قصيدة «اللمس»،
الذي يتشكل قصيدة بلازمة «اللحظة»،
حيث:

« اللحظة التي ليس لها قبلٌ ولا
بعْدٌ... اللحظة الصّفرُ...»

اللحظة التي لمستُ فيها اليد
الأولى الحلمة الأولى...

اللحظة حين تسقط نقطة الدم
الأولى...

أول أثرٍ لقدمٍ في جنة آدم

أول رمية حجرٍ

لرأس أفعى

مطلوقةٍ في البراري...

تلك اللحظة التي تنسدل وتتعدّد

وتتراكم صفاتها

حين ألمسك

فيصبح الخَطّ الأول

كالمحو الأخير.»

في خلخلة الحواس:

وعلى طريقة الشاعر في تكوين ما قبل
الخلخلة، باعتماد سرد الحكاية الشعري،
والجمع بين أسلوب السطر القصير
المختزل حتى كلمة واحدة، وأسلوب
القطعة القصيرة المقتصدة كذلك دون
إسفاف؛ يأتي بُعد «التضاد»/ طاقة الشعر
التي تبقى متوهجًا، في كل نقلةٍ لأحجار
المجموعة. يصل فيها الجنود البسطاء إلى
وزراءٍ يحمون مملكة العشق التي لا تقوم
على ملك وإنما على رجل/ جبلٍ، وامرأةٍ
غابيةٍ/ يتشابكان، ويستحضر لهما فؤاد
حكاياتٍ تُبقي جذوة العشق متأججةً
بينهما، وتبقيهما حاضرينَ فيهما، عن
عشق جديهما آدم وحواء. بجميع تفاصيل
ما تنبض به الحواس الناقصة وما تزيد به
نفسها بقدرة التشابك مع بعضها لخلق
حواس جديدة، تُسبّح بحمد خيال الإنسان
الإيروتیکی الذي يجنّب أقدامه وأقدام
القارئ الانزلاقَ إلى مستنقع الإباحية،
بفعل الجمال.

ويأتي بُعد علاجات التشافي بالسُّعر، في
إلغاء سلبية كاف التشبيه إلى إيجابية
تأكيد الذات بين:

« كرجل يهيئ البيت

انتظارًا لقدم امرأةٍ

(يُشَكِّكُ فِي مَجِيئِهَا أَصْلًا)

و:

ها أنا أهيبُ حياتي

«

هكذا.. رأيتك

لقدومك.»

حين كنتِ قاتلةً

وبين:

هاربةً من جنةٍ في الخلاء

وكنْتُ غزالًا

أخطأتُ

«

ينزف مسكًا...»

حين بدأتُ الحكاية بكاف التشبيه

كان عليّ أن أقول:

مرورًا بجميع ما نعرف من احتمالات

الرغبة والخطيئة والصفاء، التي يدخل

أنا رجلٌ يهيبُ نفسه

فيها:

انتظارًا لقدوم امرأةٍ.»

مع حذف (يُشَكِّكُ فِي مَجِيئِهَا أَصْلًا).

«وكنْتُ... وكنْتُ... و:»

" كنتِ أمي التي ماتت

ويأتي تأكيد نقل الخاص إلى العام، إذ لا

وهي تلدني...»

يكتفي فؤاد بإحساس القارئ أنه الشاعر،

«وكنْتُ الجارية

وهو ما يطمح له كل شاعر، وإنما يضيف

التي غلا عليّ ثمُنها

في قصيدة «الصوت» تأكيد ذلك داخل

حين كنتُ تاجرًا للحريد

القصيدة في عرض احتمالات جميع

أيام الرشيد.»

علاقات الرجل بالمرأة، المتداخلة بالرغبات

وفي نهاية هذا العرض للاحتتمالات يمكن

والآثام الملازمة لطبيعتيهما. عودةً إلى

للقارئ تلمس اللايقين الذي يشوب الآن

التاريخ والأسطورة بدءًا من حاضر الشاعر

كتابات الشعراء في ظلّ ما تخلخله

المتكلم، في خطابه لها، في تداخل مع

التكنولوجيا بكشوفات ميكانيكا الكم،

أسطورة خلق آدم وحواء، بنسق ثلاثي ل:

ويؤكد فؤاد في حديثه عن الصدفة

« بسم » الخالق المميت. والمحيي

وحقائق الداخل.

المدلّ

ويأتي بعد هذا ال"ما قبل"، اختلالُ

بسم الضلع الناقص. والجسد

الحواس، متجلّيًا في الحبّ بصوره

المكتمل.

الإبروتيكية، وتشابكات حضور وغيابات

بسم الدم يجري في عروقك.

الذاكرة واستعداداتها كما لو كانت بكاميرا

والهواء في رثيتك"..

ديجيتال، في مخيِّلة الشاعر الذي يرى
المعشوقة حتى لو أغمض عينيه، وأطفأ
المصباح، حتَّى :
« وأنا أرى الآخرين.. أراك.»
وحيث تنطفئ الحواس لتشتعل اختلالاً:
« أقول نامي
لأنِّي لا أرى شيئاً ولا أشمّ شيئاً ولا
ألمس شيئاً ولا أتحمس شيئاً ولا أشعر
بشيء،
أقول اتركيني أغمض عينيّ ولو
قليلاً...»
« تعبت من رؤيتك، من النظر
إليك دون أن ألمسك،
تعبت من رائحتك التي تطاردني
كما لو كانت كلاباً سعرانة،
وتعبت من قول: نامي.»
مع مزج الطبيعة بجسد المرأة، حيث:
« ذهابك إلى صحراءٍ
أو مدينةٍ مملوءةٍ بأحجارٍ ناعمةٍ
يشبهُ تَبْتُلِي بين فخذيكِ
دون أن أعدّيهما
لأشاهد العمودين الرخاميين
جبلين على الأرض.»
وتحوّل العشق لغةً يليق بها أن تكون
معجماً لعشق الحواس، يربط «بين

المدنّس والمقدّس فينا»، وتتجلّى فيه
الرائحة:
« العبيرَ الآسرَ لمعنى الجسد
الرحيقَ الأوّليّ لكي نونة أعضائنا
البشرية
إذ تتعتّق»
وأن يكون هذا المعجم هو المرأة.
وإذ نختم هذا الاختلال، باختلاط الحواس
كحيلةٍ يقوم بها فؤاد لابتكار حواسٍ جديدة،
والإشارة إلى العمق السيكولوجي في
معالجته لطبيعة المرأة والرجل النفسية
وطبيعة اختلاف تكوين جسديهما، في
خطاب المتكلم/ المرأة بالأخص،
ومقارنتها بين الذكورة والأنوثة في إنك:
« لن تفهمّني، لأنك مشدودٌ، وأنا
مرتخيةٌ
أنت تنتظر لحظة الطعن، وأنا
أنتظر لمسة المشفقِ على دم الذبيحة
ربما يكمن الفرق بيننا هنا:
أنت لا تؤمن بالرائحة، لأنك راغبٌ
في موضع الرائحة
وأنا أوّمن بالرائحة، لأنها النكهة
الأولى لموضع الرائحة
النوّار النادر الذي لا يدوم
لكنه الأصل
في أن تُزهر الثمرة.»

أكتفي بك هكذا ..
مُعجماً لحواصي
وبرهاناً أبدياً
على نقصانها.»

تأتي النهاية التي تدور على بدايتها، نعمةً
وفضيلة نقصان الحواس، في فلسفة
الشاعر، إذ، مع بشاعة تخيّلنا لما يمكن أن
نكونه لو لم نكن هكذا، يخلُص فؤاد إلى
حكمة الرضا، والاكتمال بالآخر، وب:
« لا ..

• عماد فؤاد: «معجم الحواس الناقصة»،
ديوان للنشر، القاهرة 2025، 176 صفحة.
القدس العربي 11 يناير 2026

أنا راضٍ بما أملك من حواس
لماذا أطمع في مضاعفة
إحساسي بالعالم
وأنتِ معي



مختارات شعرية محمد علي محمد

عماد فؤاد
محمد فؤاد

كائنات رجل.. قتلته الوحدة

في اليوم الذي مات فيه
تشبَّعَ (حتَّى الحافة) بنشوة الكلام
وجهُهُ امتلاً تدريجياً بتعبيراتٍ مألوفةٍ
وعيناه
كانتا تصعدانِ دائماً مع دخانه الشَّفيفِ

نستطيعُ أن نقولَ (صادقين)
إنَّه أجادَ بالفعلِ سردَ ذكرياته
والتَّحدتَ بطلاقةٍ عن نساياه الماضياتِ
وعن أصدقاءِ المراهقةِ الخجولينِ.

كلُّ ما كان يقلُّقنا بجدُّ
هو ازدحامُ الغرفةِ بأرواحِ رفاقه الشَّفافةِ
واصطدامها الرَّهيفُ بحوافِّ قطعِ الأثاثِ العتيقِ
لم يقاطعه أحدٌ.. ولم يتخلَّلَ كلامه
سوى خيطٍ رفيعٍ من حنيننا... لزمانه
وتنهداتٍ ساخنةٍ
من صدورِ المغرمينِ.

سجائره الرَّخيصةُ
انطفأتُ (أكثرَ من مرَّةٍ) في أصابعه ولم ينتبه

(أصابه النحيلةُ
المليئةُ بأوردةٍ زرقٍ كالأخاديدِ)

عرفنا
أنّه غيرُ قادرٍ بالفعلِ على منعِ تسرُّبِ الحكاياتِ القديمةِ من دماغِهِ،
أو الحدِّ من رعشةِ الكفينِ، وانتفاضةِ البردِ التي ألمتْ (فجأةً) بصدريه المفتوحِ.

أرقدناه على الفورِ فوقَ فراشه المزحومِ بدميٍّ مشوهةٍ
قُطعتْ أطرافُها بقسوةٍ شديدةٍ
واكتشفنا تحتَ الغطاءِ
دميةً طريةً حدَّ الليونةِ
في حجمِ امرأةٍ كاملةٍ
دميةً جفَّتْ ملايينُ الحيواناتِ المنويّةِ فوقَ سُرتِها وعانتِها
دميةً ممحوّةً الوجهِ

كان مستمرًا في الكلامِ
وصوتٌ كخشخشةِ الورقِ المصقولِ
يسقطُ من فيهِ
مع كلِّ حرفٍ.

في اليومِ الذي مات فيهِ
قدَّرَ الرُّجُلُ الوحيدُ
أنَّ الليلةَ (لا بدَّ) ينامُ في حضنِ دميتهِ
نعرفُ: سوفَ يستعينُ بصبرِ سبعةِ ملائكةٍ
حتى يكملَ تضيفَ شعرها الطويلِ
هكذا

تعلّم أن يجعلها مستعدةً تمامًا
لاستقبال حرارة جسمه فوق برودتها

نعرف: سوف يحملها بين ذراعيه كدميةٍ
ويحطّها (برفقٍ) فوق كرسيّ التسريحة الصّغيرِ
ظهرها، سوف يثبتُه بكفّه الشّمالي
(كفّه المسكينةُ
ظلّت ترتعشُ بنشوةٍ غامضةٍ
تضخّها قماشةُ فستانها الخفيفِ
حتى وصلت رعتها لعموده الغائرِ في منتصفِ الظهرِ)

هنا بالصّبيطِ

سيفتحُ (باليمينِ) درجَ التسريحة ويُخرجُ أدواتِ مكيّاجها المستوردة: (قلمُ الكحلِ
ستمحو خطوطه المرسومةً دمعُها النّشوانةُ بقسوته الزائدة. وأحمرُ الشفاهِ
سينتقلُ كلُّه إلى خديّه وشفتيه من أوّلِ حُصنٍ يشدّها فيه. حتى شخبطةِ قلمِ
الفلوماسترِ فوق الحاجبين، ستذيبُها قطراتُ عرقه المحمومِ)

هكذا

بمنتهى البطءِ الحذرِ

أزالَ وجهها الذي طالعتُه به لمدةِ أسبوعٍ، مسحَ كلَّ الملامحِ التي شبَع منها، وشكّلَ
وجهها الجديدَ: وسّعَ العينينِ بنظرةٍ جنسيةٍ وقحةٍ، وزادَ من سوادِهما، رفقَ الشّفتينِ
بقدرِ المستطاعِ، حتى تناسبَ لعبَ لسانهِ في فمِها (الشفتان اللتان تعصّان على
بعضهما لحظةَ القذفِ، وهي خجلانةٌ!) جعلَ ذقتها مدبّبةً بدرجةٍ تكفي لتكوينِ كدّمةٍ
أسفلَ كتفه الأيسرِ، ليختبرَ وجودها يوميًا أمامَ مرآةِ الحّمّامِ بفرحٍ مكنومٍ

نحنُ نعرفُ: سوف يُلبسُها القميصَ الأسودَ نفسَه

ويشُدُّ على نهدِها المتهدلين سوتيانها القديمَ
سيعيدُ إدخالَ قطعِ القطنِ التي بانَتْ من تمرُّقاتِ جلدِ جسمِها الرَّهيفِ. ثمَّ.. يحملُها
من جديدٍ إلى فرشتِهِ
لن ينسى (في البداية) أن يأخذَها بالملاطفةِ
يعني.. يرتجلُ اسمًا
يليقُ بمنظرِها الجديدِ.

من "أشباح جرحتها الإضاءة"
ديوان الكتابة الأخرى، القاهرة 1998

تقاعد زير نساء عجوز

تردّد.. حين قال جملمته الأخريرة
ندت عن جبينه العريض رعشة مفاجئة
فيما قبضت أصابعه الصلبة
على حفنة من الهواء
وانسدلت أعضاؤه بين أيديهم.

منذ قليل
كان يسير برأيس تتلفت في كل الاتجاهات
ثم ترتد من جديد كبنءول ساعة
كطائر تسقطه من عل رصاصة قنّاص
فيما ساقاه
تأكلان الطّريق نحو فضاء
مفروء على الجهات كلها
وعيناه
تناصبان كل جميلة تمرّ العءاء.

العجوز الذي شاخ وهرم
الذي شال في جيبه العلوي
قائمة بأسماء وهوائف أقربائه
تحسباً لموت مفاجيء في الطّريق

الذي لم ينجح في تأسيس عائلةٍ سالحةٍ
طوال أربعين سنة
سقط مثل مخمورٍ تشبَّعتْ دماؤه بالكحول
تهاوى طولُه الفارع على الأرض
في ضجةٍ رغم نحوله الشديد
ورغم شفّتيه اللتين كانتا تحاولان الابتسام بجد
حين غاب تمامًا عن الوعي.

لا مناص
الخفّةُ التي كان يتمتّع بها قديمًا
ثقلت على أعضائه بشكلٍ بشع
لم تعد ملامحه تطيع قناع الطيبة
بالسرعة الكافية
ولم يعد جحوظ عينيه يذوبُ
حين يرنو للصبايا والنساء الصغيرات
حتى شفّتيه اللتين كانتا ترسمان أعذب ابتسامٍ لمحَبِّ
صارتا تنفتحان في بلهٍ
كلما ركّز انتباهه
على فريسةٍ مقتربة.

لم تكن عيناه تنمّان عن كراهيةٍ
بل عن فضولٍ موجهٍ
وهما تمسحان كلّ نهدٍ يمرُّ بنظرةٍ متأنيةٍ وصبورةٍ إلى ارتجاجته.
عيناه اللتان يهبط بهما سريعًا
إلى الرّدفين الملفوفين
باحثًا بشغفٍ جائعٍ

عن خيطين رفيعين يحدّانها
خيطين يوقن كنبِيَّ
أنهما سيظهريان في الخطوة القادمة
فقط
لو ترفع التي تسير إحدى ساقها
لتصعد مصطبة الرّصيف.

طوال عمره
وهو يؤمن بفكرة الاستفادة من جسده
لأقصى درجةٍ ممكنة
لكنه كلّما تعرّى أمام امرأةٍ
منحها الشُّعور بأنّ يتمه أبديُّ
لا يمكن لأحدٍ الحدّ منه
وأنّه
يعفُّ عن جسدها المفرد أمامه كقطّ أليف
وأنّه
غير طامعٍ في شيءٍ
أكثر من مسحة يدٍ من كفّها الصّغيرة
على شعر رأسه الغزير.

عقله
حين لقّه ضباب الإغماء الأولى
كان مثل ستّارةٍ بغمّاز من الفلين
فوق سطح ذكرياته
في سقطته بين أيديهم
تشبّث ببوصةٍ في يديه

فأخرج وجه أول امرأةٍ
أول امرأةٍ بعد أمّه التي ماتت
حين كان يُخرج رأسه الصغير من بين فخذيه.

الأرملة الشّابة
ابنة الخامسة والثلاثين،
التي لم تعط زوجها السّتينيّ طفلاً طوال سبعة عشر عامًا
التي "موتت" زوجها بعشرين طعنةً في الصّدر
من مطواة "قرن غزال" كان يحملها بلطجيّ عاكسها في الشارع بالمصادفة
لم تصبر
حتى يبلغ ابن الجيران
ويفرح بقذفه الأوّل في السّر
لم تصبر حتى تمرّ سنوية زوجها الأولى
غافلت والديه الطيّبين
وحمّمته في عزّ مايو (ككلبٍ أجرٍ)
بين وركيها.

كان ابن العاشرة
حين تعلّم كيف يحرك لسانه بداخلها
وكيف يقبض بشفتيه الصّغيرتين على لسانها العصبي في قبلتهما الأولى
فيما قصر قامته ونحوله، يحولان دون تغطية نهديها وعانتها في الوقت نفسه
لكنّها صبرت على رعوته كأُمّ
وراقبت جسده وهو يكبر فوقها كإلهةٍ
وحين بلّ لها بمائه البكر في قذفته الأولى
زغردت كفلاحةٍ.

الَّتِي تَرَمَلَتْ وَهِيَ صَبِيَّةٌ
تَرَكْتُهُ وَهُوَ فِي الْعَشْرِينَ
بِفَتْقِينَ بَارِزِينَ فِي الْبَطْنِ وَالْخَصِيَّةِ الْيَمْنَى
تَزَوَّجْتُ عَجُوزًا يُظَلِّلُ عَلَيْهَا وَغَادَرْتُهُ
تَارِكَةً فِي قَلْبِهِ نُذْبَةً غَائِرَةً يَشْعُرُ بِوُخْزِهَا مِثْلَ سَكِينٍ
كَلِمَا اكْتَشَفَ مَتْعَةً جَدِيدَةً فِي الْفَرَاشِ.

سَنَّارْتَهُ الْمَدْلَاةَ بَغَمَّازٍ مِنَ الْفُلِّينِ
وَبَثْقَالَةٍ مِنْ حَدِيدٍ تَشْدُهَا إِلَى مَاءِ إِغْمَاءَتِهِ عَلَى الطَّرِيقِ
سَنَّارْتَهُ هَذِهِ، عَوَّرْتُهُ فِي بَطْنِ كَفِّهِ الْيَمْنَى وَهِيَ تَخْبِطُ الْأَرْضَ
فَقَبِضْتُ أَصَابِعَهُ الصَّلْبَةَ عَلَى حَفْنَةٍ مِنَ الْهَوَاءِ
وَارْتَسَمَ خِيَالُ أَلَمٍ عَلَى شَفْتَيْهِ
ظَنَّتُهُ الْوَاقِفُونَ ابْتِسَامَةً.

العجوز
زير النساء العتيد
كان يعف عن كل موميس
تكسب عيشها من فوق الرصيف
وكان حييا.. يحمز كعذراء لو سمع مجاملة
أو عبارة مديح.

لم يتحمّل قلبه خيانة جسده
ولم تتسع رحمته لغفران كل هذا الغنج المفرط وهو يمرّ جواره. كان لا بد من
سقوطه هكذا، كي يُشعر البنات اللواتي يعبرن بجواره أنّهنّ ظلّمنه، حين لم يرينه
بجوارهنّ. حين لم يلحن عينيه المكسورتين وهما تبجّلان أعضائهنّ. حين لم
يدركن بفطرتهنّ الأنثوية خبرته الطويلة في الحبّ والملاطفة.

كان لا بد من سقوطه هكذا، كي تعبر تحت جبينه العريض كل الوجوه التي مرّت في حياته، كأطياف حلم، كي يتذكر الأرملة الصغيرة بوخزتين غائرتين في البطن والخصية اليمنى

كي يقول جملته الأخيرة بتردّدٍ

كأنّها لفظة ألم، كأنّها: "كَبُرَتْ يا عجوز"...

وكي يتذكر أمّه التي ماتت وهو في منتصف الطريق بين الدخول وبين الخروج.

كان لا بد من سقوطه هكذا

كاعتراضٍ أخيرٍ

على بدء تقاعده.

من "تقاعد زير نساء عجوز"

دار شرقيات، القاهرة، 2002.

طيران

لم أكنُ أقلدُ الطَّيْرَ
فليسَ لي أجنحةٌ
لكنني
كنتُ أجربُ صدقَ أمِّي
قالتُ لي يومًا:
الأطفالُ ملائكةُ اللهِ
على الأرضِ.

وحدة

يهربُ من الزحامِ
وحينَ يغلقُ عليه بابَ حجرتهِ
يسمعه الجيرانُ لساعاتٍ طويلةٍ
وهو يستعطفُ آخرينَ
ويرجوهم المغادرةِ
كانوا متأكِّدين أنه وحدهِ
وأنه لا يعرفُ أحدًا
بعد دقائقٍ
يسمعونُ أصواتَ أقدامِ
تهبطُ السَّلَمِ.

مصباح

وضعوني على البابِ
كي أنيرَ لهم

يُدُّ مَسْحَتُ زَجَاجِيِ الْمَصْقُولِ
وَيُدُّ أَشْعَلَتْ نَارِي
وَمَضُوا
رَكَلُوا الْعَشَبَ بِأَقْدَامِهِمْ
وَدَاسُوا عَلَى ضَوْئِي الرَّهِيْفِ فَوْقَ حَجَارَةِ الطَّرِيقِ
الْغُرْبَاءُ
لَمْ يَعْذُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلَيَّ
تَرَكَوْنِي مَعَلَّقًا هَكَذَا
تَارِيخِي كُلُّهُ
صَدَأُ.

تهشُّ على أغانمها من دون عصا

كُلُّهم تمُّنُّوها
وأعيتهم الحِيلُ
مَنْ لم يمسَّها بيديه.. تخيَّلها
ومَنْ أَعْرَضَتْ بوجهها عنه، انتقم من جسمها الذي يطوُّفُ في دماغه كعقربٍ، بين
ساقِي سواها.

أصابُعُها.. الخيوطُ العشرُ الملفوفةُ وهي تهتزُّ في مشيتها
أربابُ الرِّضا إن تبسَّمتُ، وآلهةُ الإشارةِ لو رضيتُ
السَّفافةُ حين تمسُّها السَّمْسُ، البصَّةُ كَرغيفِ خبزٍ
أصابُعُها.. كانتُ تدَّخرُ خامَ الأوثيةِ من منجمِ الرَّمَنِ
وتهشُّ على أغانمها من دون عصا.

طويلةٌ،
حين تمشي تشعُرُ بالعيون وهي تتمسَّحُ باليتيها المرفوعتين
خطوها الثقيلُ على الأرضِ له مريدونَ
يديرونَ رؤوسهم خلفها برهبةٍ.
ولرجَّةٍ نهدها الملفوفِ نصلٌ يحزُّ القلوبَ
كأنَّ الذي يرتجُّ في جلابها البلديُّ ربُّ
يقيمُ (حيثُ يشاءُ) عدْلَهُ
وحين يغضبُ.. يُذللُّ.

سَيِّدَةُ الْبَيْتِ، كَلَّمَا فَتَحْتُ شَفْتَيْهَا تَعَلَّمُ الْبِنَاتِ، اِحْمَرَّتْ وَجْنَتَاهَا كَمِرَاهِقَةٍ، وَمَلَأَ
وَجْهَهَا الْبَرِيءُ عَرْقُ فَاضِحٍ، كَأَنَّهَا لَمْ تَتَقَلَّبْ عَمَرُهَا كَلَّهُ فِي أَحْضَانِ الرِّجَالِ، كَأَنَّ
السَّنِينَ مَرَّتْ عَلَيْهَا وَعَقَّتْهَا مَخْتَوْمَةٌ بَيْنَ وَرْكَيْهَا كَطَابَعِ حُسْنِ.

الْغَجْرِيَّةُ، تَاجِرَةُ السَّعَادَةِ الَّتِي تَشْتَرِي وَتَبِيعُ، تَتَدَبَّعُ فِي جَلِيسَتِهَا الرِّزِينَةَ أَمَامَ فَنْجَانِ
قَهْوَتِهَا الْمُحَوَّجِ، وَهِيَ تَلْفُ سِيجَارَةَ الْحَشِيشِ، وَبِنَاتِهَا الْجَمِيلَاتِ يُحَطَّنُ بِهَا

كُلُّ مَا تَعَلَّمْتَهُ مِنْ أَجْسَادِ الرِّجَالِ، مِنْ بَكَائِهِمْ كَالْحَرِيمِ فِي حَضْنِهَا الدَّافِئِ، مِنْ
قَسْوَتِهِمْ الْمَفْتَعَلَةِ بَيْنَ سَاقِيهَا لِيُخْرِجُوا آهَةً أَوْ آتَةً مِنْ بَيْنِ شَفْتَيْهَا الْمُرْتَعَشَتَيْنِ،
يَعُودُونَ مَلْتَدِّينَ بِهَا كَكَنْزٍ إِلَى لَيْلِهِمُ الطَّوِيلِ

مَا تَجَرَعْتَهُ مِنْهُمْ عُنُودٌ، وَمَا شَرِبْتَهُ بِنَشْوَةِ كَشْهِدِ الْمَلَكَاتِ

مَا انْفَضَّحَ وَمَا انْحَجَبَ

تَهَبُهُ لَهَنٌ عَنْ طَيْبِ خَاطِرٍ

تَقُولُ: لِي فِي الْمَحَبَّةِ أَلْفِ فِدَانٍ

وَأَرْضُكَ لَمْ تَزَلْ بُورٌ.

كُنْتُ صَبِيَّةً، تَقُولُ: تَكْوَرَّ نَهْدَايَ فِي صَدْرِي كِبَرْتَقَالَتَيْنِ، كَلَّمَا دُسْتُ الْأَرْضَ رَنَّ فِي أذُنِي
صَوْتُ، كَأَنَّ لِكَعْبِي حَدَوَةً كَالْفَرَسِ، وَلَعَيْنِي مِثْلَ بَوْمَةٍ كُحْلُهُمَا الرَّبَائِيُّ. نَسْوَةُ الْحَيِّ
يَسْتَعْدَنَ بِاللَّهِ مِنْ رَائِحَةِ الْكَافُورِ الْخَارِجَةِ مِنْ صَدْرِي وَيُخَبِّئُنِي عَنِ الْعَيُونِ. كَانَ
ظَلِّي يَسْبِقُ قَدَمِي، وَنَظَرْتِي لِلنَّاسِ أَوْهَى (عِنْدَ اللَّهِ) مِنْ خَيْطِ الْعَنْكَبُوتِ.

كَنْ يَرْقُبْنَهَا بِفَضُولٍ

فِي رَتْعَشْنِ كِيَمَامَاتٍ تَعَدَّيْنِ مِنْ رِيَشِهِنَّ فَجَاءَ

لِكَنَّهُنَّ يَحْتَرِمَنَّ صَمْتَهَا الْمُتَلَجَّلَجَ

وَيَرْقُبَنَّ حُرُوفَ الْكَلَامِ تَنْبُتُ فَوْقَ شَفْتَيْهَا بِبَطءٍ

وينصتنَ بشغفٍ طفوليٍّ لصوت تنفّسها الذي يئزُّ في الهواءِ
وحين تنتبه لرأسها المنحنية على صمتها، تومئُ لهنَّ بعين مكسورةٍ: أنتنَّ رحمة الله
في الأرض، فلا تتكبرن !

كان ابن جارنا، تقولُ: شدّني من شعري الذي فضحتهُ طرحتي
ورماني تحته. حَبَّأنا عيدانُ القمحِ في غيظِ أبي. وتصلّبتُ مشمشتانِ غامضتانِ في
نهديّ. كنتُ نشوانةً.. فتحتُ ساقِيّ دون أن أدري، لكنَّه (العَشيّم) دسَّ يده الخشنة
ليدعك مائي، وبحث بشفتيه عن حلمتيّ

قنع الغبيُّ بما طالته يداهُ
وخلّفني وراءه كخرقةٍ
لكنّني أقولها لَكُنَّ بصراحةٍ
عشتُ عمري كلَّهُ
أعدو خلف المتعة التي منحها لي
بلا فائدة!

من "بكذمة زرقاء من عصّة النّدم"

الطبعة الأولى: دار شرقيات، القاهرة، 2005

عذراء

تهمسُ العذراءُ لأبيها
حين ترى قطوفاً دانيةً من شجرة العنب:
-انظر..
لَمَّا امتلأتْ عروقُهَا بالرَّحِيقِ
انفلقتْ حَبَّاتُهَا
عن عصيرِهَا المُكْتَنَزِ!

غصن

يلزمُهَا
أن تكونَ قاسيةَ القلبِ
هذه الفأسُ المرفوعةُ بيدِ الحطَّابِ
يلزمُهَا
أن يكونَ نصلُهَا حادِّاً
وهيَ تهتمُّ بالسُّقُوطِ كي تجزَّ الشَّجَرَةَ
يلزمُهَا أن تكونِ بلا مشاعرٍ أصلاً
كي لا ترهبُهَا رِيشَةُ اليدِ الخشبيَّةِ في كَفِّ حطَّابِهَا
تلك اليدُ التي كانتْ قديماً
غصناً
فوق الشَّجَرَةَ ذاتِهَا .

غزل

نبته اللباب
التي التفت على ساق زهرتنا
فاقتها ارتفاعاً
ولم تجد ما تتسند عليه
اعتقدنا في البداية
أنها تفعل ذلك حباً في الزهرة
انظري الآن
ها هي تتأرجح منتشية في الهواء
والشمس في الأعالي
تحمراً خجلاً.

عيال

يا صبعه الصغير
يدحرج "آدم" روعي:
عودوا إلى بيوتكم يا عيال
قلبي
لن يلعب اليوم
في السارغ.

اسمك

مثلما تتنهدُ شجرةٌ
يُمسُّها ظلُّ حطَّابِها القديمِ
تغوصُ رُوحِي
كلِّما مرَّ لسانُ
على ذكْرِ اسمِكِ.

ندوب

ذيلُ فستانِكِ المُوَسَّى بالورودِ
يغوصُ تحتَ كعبِكِ
وأنتِ تدوسينَ حافيةً
كلُّ خطوةٍ
أنفُصُ عن صدري
زهرةً مفتتةً الأوراقِ
ونُدبةً.

لدغة

لم تكنَ تناصُبِكِ العداءَ
النَّحْلَةُ التي غافلُتنا
ولدغتُ نهدَكِ الأيسرُ
مَعْدُورَةٌ
حسبتهُ زهرةً تهَمُّ بالاختباءِ
تحتَ كِتَّانِ قميصِكِ الأبيصِ!

من " حَرِير "

الطبعة الأولى: دار النهضة العربية، بيروت، 2007

ستة أقدام تحت الأرض

ابقي كما أنتِ..

أريدُكِ هكذا؛ منكوشةَ الشَّعرِ، دونَ مَكياجٍ
أو أحمرِ شفاهٍ يجعلُنِي أتردُّ قبلَ أنْ أُقربَ شفتيَّ من شفتيكِ، دونَ طلاءٍ أظافرَ أو
مزيلِ عَرَقٍ أو عطرٍ تحبُّينِ خلقَه رائحتكِ الحقيقيَّة، أريدُكِ عاريةَ الرُّوحِ، مسلوخةً
وبيضاء، ها هنا، جالسةً أمامي، مُقيَّدةَ القدمينِ والذَّراعينِ ومفتوحةَ الفخذينِ
نحتاجُ أنْ نتحدَّثَ طويلاً قبلَ أنْ نتفاهمَ، نحتاجُ أنْ نهبطَ إلى السَّراديبِ المعتمةِ كي
نفتحَ صناديقنا المحبَّاةَ بعنايةٍ، تلكَ التي تراكمتُ فوقَ أغطيتها طبقاتُ الأتربةِ
والغبارِ وعشَّشتُ فوقها العناكبُ
هذا الصُّندوقُ مثلاً، نعم، هذا، البتِّي العريصُ، افتحيه، وستجدينَ بداخله كلَّ الصُّورِ
التي التقطناها لوجهينا السَّعيدينِ حينَ كُنَّا صغيرينِ، غافلينِ عمَّا نحنُ فيه الآنَ
هذا الصُّندوقُ هناك

هل ترينه

ستجدينَ بداخله كلَّ الأماكنِ التي سرقنا فيها قبلاَتنا المحمومةَ: سلالَمَ عماراتِ
القاهرةِ العالِيَةِ التي ليس لها حراسُ، كورنيشِ إسكندريةِ ومقابرَ «ميلان» وشوارعَ
«بورسعيد» وميدانَ «طلعت حرب» وقريةَ الفرعونيةِ ومدينةَ السَّلامِ وليل «مدريد»
وجلافةَ «بروكسل» وصيفَ «كتالونيا» ووسطَ البلدِ وموقفمبيك المطارِ وشيراتونِ
الإسكندريةِ وأوراسي الجزائرِ وقحطِ المنامةِ
كلَّ الأماكنِ التي تركنا فيها ما يدلُّ علينا
هل تذكرين

هنا مثلاً قبّلتكِ للمرة الأولى
في هذا الممرِّ الطَّويلِ بفندقِ ثلاثِ نجومٍ على بحرِ إسكندرية، كنتِ خارجةً من
حمّامكِ الصّباحيِّ، وكنتُ أحاولُ تهجّي ألوانِ عينيكِ وأنا أختبئُ من ضوءِ السّمس
الذي يعميني عن التّظرِ في الأزرقِ السّماويِّ الذي لا تحدُّه شطوطُ .

أحتاجُ الآنَ

أن أفتحَ أصابعكِ هذهِ

وأضعَ روعي بيّنها

كما لو كنتِ طفلةً صغيرةً

أعلّمها كيفَ تقبضُ على لُعبتها الجديدةِ

الأرواحُ لعبٌ يا حبيبتي

الأجسادُ أيضاً

ثمّة دائماً ما يمكنُ لنا أن نُحوّله إلى لُعبةٍ نُلهي بها وقتنا

تصوّري مثلاً أنّي الآنَ مُستعدٌّ أن أجعلكِ تدينَ أحشاءكِ

وهي تخرجُ من بطنكِ الجميلِ هذا

فقطُ بحركةٍ واحدةٍ من نصلِ هذا الخنجرِ

وستجدّينها كلّها أمامَ عينيكِ،

لطالما كنتُ أقربُ أمّي وهي تنظّف الدجاجَ والبَطَّ والإوزاتِ والأرانبَ قبل أن تضعها

في الديب فريزر

كنت أحبُّ هذه اللحظاتِ

وهي تهبّي هذه اللحوم طازجةً ومستعدّةً للطهو في حال زيارةٍ مفاجئةٍ أو ضيوفٍ

طارئين، وهي تفصلُ المعدةَ عن الأمعاءِ وتُزيلُ الدّمَ الأحمرَ القاني المتجلّطَ وسط

اللحم، وهي تنتفُ الرّيشَ بالماءِ المغلّيِّ وتفتحُ بالسكّين عند الصّدر، وهي تفصل

غَرَفَ القَلْبِ وتغسلُهُ بالماءِ النَّظِيفِ، لا يَمَكُنُ لامرأةٍ ما أن تكون محترفةً مثل أمِّي
في تنظيفِ الطَّيُورِ المذبوحةِ، كنتُ أَجْلِسُ منبهراً كأنِّي أَنفَرَجُ على ساحرةٍ تَدِينِي ما
لم أَرُه من قَبْلُ، أَنظُرُ إلى أَصابعها السَّريعةِ المَدْرَبَةِ وأَتَخَيَّلُ كم كان هذا الدِّيكُ جَميلاً
وهو يطارِدُ دجاجاتِهِ منذ قليلٍ، كم كان ريشُهُ يلمَعُ تحت الشَّمْسِ وهو يعدو خلفهنَّ
متباهياً بذكورتِهِ، لذا لا تخافي، اطمئني تماماً، حركةُ الخنجرِ لن تشعركِ بشيءٍ، اللَّهُمَّ
بسُخْبَةِ خفيفةٍ لروحكِ، كما لو أنَّ عصا الكمانِ التي طالما أحببناها في موسيقى
«الأب الروحي» قد مرَّت سريعةً وخاطفةً على بطنكِ العاري .

قطرة ماءٍ واحدةً

وسأَجْعَلُكَ تُصابينَ بالجُنونِ، التَّعْذِيبِ والتَّنْكِيلِ شيءٌ سهلٌ، لا يَحْتَاجُ إلى خِبْرَاتٍ أو
كُتُبٍ لنتعلَّمَهُ، في مَكَانِكَ هذا، وعلى مقعدكِ الجميلِ المُلْتَدِّ الآنَ بِسُخُونَةِ رَدْفِكَ
الدَّافئِينَ، سأَجْعَلُكَ تعرفينَ مَعْنَى العتمةِ، مَعْنَى البرودةِ، مَعْنَى أن تكوني وحيدةً
تماماً، عاريةً تماماً، ومَسْلُوخَةً تماماً، هُنَا، في هذا المُسْتطِيلِ الصَّغِيرِ سأَجْعَلُكَ
تعرفينَ قَدْرَ نَفْسِكَ، لن أَفْعَلَ فَعَلَ الأَغْبِيَاءِ وأبداً في خَلِجِ أَظافركِ الجميلةِ المَنَّمَقَةِ
المبرَّيةِ جيِّداً واحداً تلو الآخرِ، هذا فَعَلَ الضُّعْفاءِ، ثُمَّ ما يَمَكُنُ فِعْلَهُ والاحتفاظُ
بجُنتِكَ سليمةً، سأحتاجُها فيما بعدُ، حينَ أَحْمِلُكَ عاليًا وأرميكِ من النَّافِذةِ على
رؤوسِ المُتجمهرينَ تحت بيتي يطالبونَ برأسِكَ، فَهُمُ أَوْلَى مِنِّي بلحمِكَ، نَهْمُهُمَ لن
يشبعَ إلاَّ بالتهاَمِكِ قطعةً قطعةً، كما فعلوا بـ«جان باتيست غرنوي»، لستُ مَخموراً،
أنا صاحٍ تماماً، تَظَنِّينَ أَنِّي بدأتُ أدوخُ من فِعْلِ رُجائَتَيْنِ حَقيرَتَيْنِ من التَّبَيِّدِ
الأحمر؟ هااا!؟!

لا، اطمئني، شربتهما نكايَةً في دِمِكَ

يا «محبَّة» .»

يقالُ إِنَّ الرِّجَالَ يُفَضِّلُونَ التَّبَيِّدَ الأَحْمَرَ القاني

فيما تُفضلُ النساءُ النَّبِيذَ الأَبْيَضَ، طَبَعًا ثَمَّةً استثناءاتٌ في الأمر، لكن هذا ما يُقالُ،
طَيِّب.. أخبريني أنتِ: لماذا؟! سَعَّلي مُخَّك، برافوا! شاطرة!!، ما قلتهِ صحيحٌ تمامًا،
الرَّجُلُ يرى في النَّبِيذِ الأحمرِ دَمَ بَكَارَةٍ أُنثَاهُ، فيما ترى المرأةُ في نَبِيذِها الأَبْيَضِ مَنِيَّ
رَجُلِها، طَبَعًا من الغباءِ أن نُبَسِّطَ الأمورَ على هذا النَّحوِ السَّاذجِ، لكنَّه على كلِّ حالٍ
ليس بعيدًا عن الحقيقة، ها نحنُ نعودُ من جَدِيدٍ إلى التُّنَائِيَةِ الغَبِيَّةِ التي تحكُمُ
عالمنا الحقيقِ، ذَكَرٌ ومُؤنَّتٌ، مؤنَّتٌ وذكُرٌ، يبدو أننا مجبلونَ على التَّخْرِيفِ وتحويلِ كلِّ
شيءٍ لدينا إلى جنسٍ

هه؟

ماذا؟

نبيذٌ؟!

آها، ولمَ لا

سأعتبرها أُمْنِيَّتِكَ الأخيرةَ

أحمرٌ...

...أم أبيض؟

كأُسُكٍ يا «محبَّة»

في صَحَّتِكَ وصَحَّةِ رُوحِكَ

أتفهُ شيءٌ فينا هو الرُّوحُ

وأصلُها أيضًا

أتعجَّبُ أصلًا من هذا الشيءِ

غيرِ المحسوسِ فينا

لو كنتِ فهمتِ رُوحِي

لو كنتِ فقط حاولتِ، ما كنّا الآن نجلُسُ جلسَتنا الحقيرةَ هذه، أنا أفضُّ أمامِ طاولةٍ
مفروشةٍ بالمقَصَّاتِ وأموايسِ الحلاقةِ والسَّكاكينِ ذاتِ الشُّفَرَاتِ الحادَّةِ والملاقِطِ
والدَّبابيسِ

وأنتِ تجلسينَ مقيدةَ الذَّرَاعينِ والقدمينِ

على مقعدٍ مثبتٍ

في هذه الغرفةِ المَعْتَمَةِ

في الحقيقةِ

أنا لستُ نادماً على السنينِ التي ضيَّعْتُها معكِ يا «محبَّة»

أنا فقط حزينٌ على نفسي

حزينٌ على رُوحِي التي تجعَّدتُ تماماً

وصارتُ لا تصلحُ لشيءٍ

أفسدتِ كلَّ شيءٍ بغبائكِ، لم تُحاولي قَطُّ أن تُمدِّي رأسكِ المغرورَ خارجَ شرنقةِ

ذاتكِ كي تطالعي العالمَ من الخارجِ

الأنايَّةُ موهبةٌ لا يملكها الكثيرونَ

وأنتِ محترفةٌ أنايَّةٌ

كنتِ أجلسُ بالسَّاعاتِ تحت قدميكِ كي أسترضيكِ وأحاولَ تفهَمكِ، وأنتِ كما أنتِ،

رأسكِ حجر

الغباءُ أيضاً موهبةٌ، كان صديقٌ لي يقولُ «الغبىُّ ظالمٌ»، وأنتِ ظلمتيني يا «محبَّة»،

لذا لا تغضبي حينَ أصطادُ روحَكَ بِصنَّارةِ كآبتي وخيبتني فيكِ، وأرفعُها عاليًا كما لو

كانتِ طفلي الأخيِّرةَ، ثم أتركها تسقطُ في ماءِ الدُّكري، وأنا فاقدٌ لأيِّ أملٍ في اصطليادِ

ولو سمكةٍ صغيرةٍ ترسمُ ابتسامَةً ملتدَّةً على وجهي .

الجسدُ...

تعالى نبدأ من الجسد...

فالدُّوح أمرُّها صعبٌ ومعقّدٌ،

الجسدُ أسهلُّ، قطعانُ الخرافِ المهرولةِ خوفاً من سيِّئَةِ الذَّبْحِ

خوفاً من ماكينَةِ جَزِّ الصُّوفِ المشهَرةِ في أيدي الغرباءِ وتركها ببشرَةٍ مكشوفةٍ في

ليالي السَّتاءِ الباردةِ

هذا الجسد الذي أحمله أينما سرتُ، أو قولي الجسد الذي يحملني، ما عدتُ أعرف

أيّاً يحملُ الآخرَ أصلاً، أبدو أمامك الآن كأنّني من يسوقُه، مثل راعٍ فقيرٍ في الصَّحراءِ

يهشُّ بعصاه على عنزةٍ واحدةٍ، وعصاه طويلةٌ كأنّه يمَنِّي نفسه بعنزاتٍ أخرياتٍ

تعالى نبدأ من الجسدِ

جسدك أو جسدي

الأمرُ سيِّان

جسدانا الآن يشبهان عملةً نقدٍ

ترفُّ على جنبِها

دون أن تسقطَ

وتنحازَ إلى ملكٍ

أو كتابَةٍ

جسدانا

بكلِّ ما فيهما من قرفٍ وعصاراتٍ وإنزيماتٍ ودمٍ وتقيُّحٍ ودماملٍ وبثورٍ وشعيراتٍ

قابليةٌ للنتفٍ وأخرى تستعصي على التتف

بروائحه وإفرازاته ودموعه وعرقه ودهونه وشحومه

شيءٌ مُقرف فعلاً أن أتحدّث الآن أمامكِ عن جسدينا بهذا الشكل، ههههههه، لا بأس، ستتعوّدين على كلامي الغبيّ، ياما تعوّدتُ عليكِ وعلى أفكاركِ الغريبة، ثمّ من قال إنّني بهذه الطّريقة في الحديثٍ أحظُّ من قيمة الجسدِ أبداً، أحبُّ جسدي كما أحبُّ جسدي،

ألم يكن جسدي هو البوّابة الأولى لي كي ألجّ إلى روحكِ، تصوّري مثلاً لو أنّكِ كنتِ قبيحةً ودميمةً ومنفوخة الأنفِ وتتمايلينَ كلوّزة حين تسيدين، هل كنتِ سأحبُّكِ؟ طبعاً لا، المسألة ليست بهذه البساطة، تحتاجُ عيوننا أيضاً إلى الجمالِ كي تسكّر، بعدها يسكّر القلبُ، ثم تسكّر العواطفُ، رأيتِ كم جميلةً كلمةُ «العواطفِ» هذه، كلمةٌ من أفلام السّتينيات لكنّها جميلةٌ ونحن نقولها اليوم فنشعر بغباء النوستالجيا، ثمّ من قال إنّ حديثي هذا يضايقُ أحداً؟

قلتُ لكِ

الجسدُ ببوّابتنا الأولى

بابٌ للخطيئةِ

وأبوابٌ مغفرةٍ مؤجلةٍ

أمره أسهلُّ من الرُّوح بكثير

وإلا لماذا كلّما وقعتُ تحتَ قدميكِ

كما أنا الآن

تألّمتُ روحي

واكتفى جسدي بنوّارٍ أحمرّ

اسمه الدّم؟ !

الدّم...

أجمل كلمة في اللغة، أرايت، كلمة من حرفين فقط، وتفعل فينا كل هذا التأثير،
ليس غريبًا إذن أن يكون اسمي الصغير محتويًا على الحرفين ذاتهما، أستطيع أن
أشكّل عددًا كبيرًا من الكلمات من حروف اسمي الأربعة: دَعْمٌ، دَاهٍ، مَادٌ، دَمْعٌ،
أَمْدٌ، عَمْدٌ، دَعٌ، عَادٌ، دَمٌ، عَدْمٌ
جميلة كلمة «عدم» هذه؟!

ناهيك عن الاشتقاقات التي لا تُحصى من هذه الكلمات، لكن... مهلاً، لا نريد أن
نذهب بعيدًا، لنركّز في الدّم:

قلتُ من قبلُ «اغمضي عينيك كي لا تجرحك نظرتي وهي تخربش سريان الدّم
السّاخن في وريدك»

الليلة.. لا أريدك أن تغمضي عينيك، افتحيهما تمامًا

أريدُ لكلّ نظرةٍ من عينيّ أن تخربش سريان الدّم وهو يجري دافئًا في وريدك، بل في
أوردتك، كوني على يقينٍ تامٍ بأنّني الليلة سأجمّد الدم في عروقك، ببطءٍ، ورويّةٍ،
وهدوءٍ، ليس ورائي شيء، أنا فاضي

متفرّغ تمامًا

لأجل حفلنا الليلة

بالمناسبة؛

قرأتُ اليومَ عن عشيقٍ صيني قتلَ عشيقته واحتفظَ بجثّتها في الدّيب فريزر، ثم
أكلها قطعةً قطعةً، عضوًا عضوًا

طبخها كما لو كانتُ أرتبًا اشتراه من السّوبر ماركت أو اصطاده من حديقة جاره
الخلفيّة، أليس هذا دليلًا قاطعًا على محبّته لها، هل سمعتِ يومًا عن محبٍّ بهذا
التّفاني في حبّه، هذا التّوحدُ والتّماهي مع حبيبته؟

طبعًا ستقولين لي إنَّ «الصّينين يأكلون القروَدَ، فما بالك باللحم البشريّ!»، لعلمك:
اللحم البشريّ صعبٌ جدًّا أنْ يُؤكَلَ، يعجع، أعتقدُ أنه مدُّ، زنجُ، مقرّف، لزجُ
وفوق هذا، سيكون مثل اللحم الجمليّ حين يُطبخُ، اخييبيبيه، لطالما كرهتُ
مشاهدةَ Anthony Hopkins وهو يأكلُ من رأس Ray Liotta في «هانيبال»
إذا كنتِ لا تصدّقينني نستطيعُ أن نجربَ

عندي ملحٌ وتوابلٌ مجلوبةٌ من الهند والقاهرة وحلب، أمّي بنفسها أعدتُ لي خلطةً
سحريةً من توابلها السنّة الماضية، سأدوسُ على معدتي بالجزمة وأقومُ لأشعل النّار
وحتى أعودَ قَرري أيّ عضوٍ ستهديني إيّاه كي يكونَ عشائي الليلة .
هل تضايقكِ الموسيقى؟

هل أشعلُ لك «كارمينا بورانا»، أم نجلسُ هكذا في العتمة والسّكوتِ، بصراحةٍ؛ لم
أعدُ أطيعُ لا العتمة ولا السّكوتَ ولا الكلامَ ولا الصّمتَ ولا التّحديقَ في الفراغ، تعبتُ
من الكلامِ والصّمتِ والتّحديقِ في الفراغ، تعبتُ منكِ ومن نظرتكِ المحدّقةِ فيّ هكذا
تشرابينَ شيئًا؟!

عندي ويسكي وفودكا ونبيدٌ أحمرٌ ونبيدٌ أبيضٌ وشمبانيا وبيرةٌ من خمسةِ أصنافٍ
مختلفةٍ وبكاردِي، عندي أيضًا شايٌّ وينسون وبنٌ مصريٌّ محوّجٌ ونعناعٌ طازجٌ
اشتريته اليوم من السوقِ، تريدين عصائرَ، افتحي الثّلاجةَ وخذي ما تشائين، لا
أحرمكِ من شيءٍ يا «محبّة»، السنواتُ التي مرّت علينا سويًا تجعلني أحبكِ رغم
كلِّ شيءٍ... في النّهاية هي عشرةُ عمر، عيشٌ وملحٌ ونبيدٌ وجبنٌ وخبزٌ وقيءٌ ودمٌ
ومَنِيٌّ وشهدُ فرجِكِ، شيءٌ صعبٌ أن نمحوَ كلَّ هذا بجرّةِ قلمٍ، ونقولَ الآن إنّنا نتبادلُ
الكراهيةَ، هل تكرهينني، صعبٌ أن تقولي هذا، صح؟ !

أنا أيضًا لا أكرهكِ

الكراهيةُ موهبةٌ لا يملكها الكثيرون

مَثَلهَا مَثَل الْأُنَانِيَّةِ

فَكَرَّرْتُ يَوْمًا أَنْ أَكْتُبَ شَيْئًا عَمَّا نَحْنُ فِيهِ الْآنَ

لَكِنْ تَصَوَّرِي لَوْ فَعَلْتُ، مَاذَا سَيُظَنُّونَ بِنَا..؟!

رَبِّمَا يَفَكِّرُونَ أَنَّي أَشْهَرُ بِكَ، أَوْ أَنَّي قَرَّرْتُ أَنْ أَفْضَحُكَ، أَعُوذُ بِاللَّهِ، أَفْضَحُكَ؟، أَنْتِ؟!

النَّاسُ أَصْبَحَتْ بِشَعَّةٍ فِي زَمَانِنَا هَذَا يَا «مَحَبَّة»

الوَاحِدُ مِنْ هَؤُلَاءِ يَسْمَحُ لِنَفْسِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ وَيَحْرُمُ الْآخِرِينَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، تَصَوَّرِي

أَنْ أَكْتُبَ عَنْكَ نَصًّا قَبِيحًا وَرَكِيكًا وَلَا عِلَاقَةً لَهُ بِالشُّعْرِ لَا مِنْ قَرِيبٍ وَلَا مِنْ بَعِيدٍ،

بِعَنْوَانِ «سِتَّةُ أَقْدَامٍ تَحْتَ الْأَرْضِ»، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ!، مَاذَا سَيَقُولُونَ عَنِّي؟ لَمْ يَحْفَظِ

الْجَمِيلَ، دِنِيٌّ، حَيَوَانٌ، حَقِيرٌ، وَاطِيٌّ، سَيَقُولُونَ كُلُّ هَذَا، صَدَّقِينِي، لَذَا تَرَاجَعْتُ تَمَامًا

عَنْ فِكْرَةِ الْكِتَابَةِ.

الْكِتَابَةُ إِفْسَادٌ دَائِمٌ لِلْأَشْيَاءِ

فَصَلَّتْ أَنْ نَبْقَى هَكَذَا، دُونَ نَصِ يَفْضَحُنَا

أَوْ يَنْشُرُ غَسِيلَنَا الْوَسْخَ أَمَامَ النَّاسِ .

إِذَا كُنْتِ تَعْبَتِ مِنَ الْجُلُوسِ كُلَّ هَذَا الْوَقْتِ فَوْقَ مَقْعَدِكَ

تَعَالِي هُنَا، بِجَوَارِي

فَقَطِّ حَرَكِي قَدَمِيكَ وَسَيَنْفُكُ الْحَبْلُ

لَا أَسْتَطِيعُ أَصْلًا أَنْ أَقْبِدَكَ يَا عَبِيطَةَ

نَعَمْ، هَكَذَا

اِقْتَرِبِي

تَمَدِّدِي وَنَامِي عَلَى صَدْرِي

أَحِبُّ أَنْ أَلْعَبَ فِي شَعْرِكَ الْأَسْوَدِ الْجَمِيلِ مِثْلَمَا كُنْتُ أَفْعَلُ قَدِيمًا، تَعْرِفِينَ هَذِهِ

الْحَرَكَةَ، تَجَعَّلْنِي أَعْمُضُ عَيْنِي وَأَنَا أَتَنَسَّقُ عِبِيرَ لَحْمِكَ طَارِجًا وَبَرِيئًا مِنْ أَيِّ عَطْرِ

العطورُ كارثةُ الجنسِ البشريِّ
كلُّ امرأةٍ نظنُّ أنَّها بالعطرِ تستطيعُ سحبَ الرَّجُلِ إلى السَّريِّ، واسألِي «جان باتيست
غرنوي»، لكن هذا لا يمنعُ أنَّني أحبُّ عطرَكَ، أقصدُ عطورَكَ، أقصدُ تحديدًا روائحَكَ،
فرائحتُكَ هي بالأحرى.. معجمُ روائحِ
هنا مثلًا أشمُّ رائحةَ شجرٍ غريبٍ
يسكنُ بداخلي مذ كنتُ هزًّا صغيرًا
وهنا، فوقِ الحلمةِ اليمنى،
أشمُّ بكائي وأنا طفلٌ على صدرِ أمِّي
وهنا، فوقِ الحلمةِ اليسرى
أشمُّ شهوتي فيكَ
وهنا، في الخِطِّ الفاصلِ بين نهديكِ
أشمُّ بكائي، وهواني على النَّاسِ
وهنا، على كتفِكَ اليمنى
أشمُّ إغفائي على كتفِ أبي
وهو عائدٌ في الليلِ يجزُّنا
إلى أسرتنا
وهنا، تحتِ إذنيكِ اليمنى
أشمُّ إنصاتي لي
وتلصُّصِكِ عليَّ
تحتِ قَبَّتِي نهديكِ لا أشمُّ شيئًا
لكنني أرى قلبَكَ شفافًا يضحُّ الدَّمُ الأحمرَ
ويوزِّعُه بالعدلِ على شرايينك

وهناك.. فوق السُّرَّةِ الملفوفةِ المدوَّرةِ

الغائرةِ في اللحمِ

أشْمُ رائحةِ آدَمَ وإيليا صغيرين

يحبوان تحت قدميَّ

غريبٌ أن أشمَّ رائحةَ طفليِّ الصَّغيرين من بطنكِ يا «محبَّة!»

في النَّهايةِ لا أنتِ أمهما

ولا أنتِ أمِّي

ثمَّ من قال إنَّكِ تصلحينَ أصلاً أن تكوني أمًّا؟

هه؟! قومي عنيَّ

لا أريدكِ بجواري

لا أريد شعركِ ولا كتفيكِ ولا نهديكِ ولا حلمتيكِ ولا سرَّتِكِ ولا بطنكِ ولا روائحكِ

كفي.. اختنقتُ .

أفزعتُك؟!!

منذ متى وأنتِ تخافين؟

هل تخيفُكِ هذه الطاولةُ الصغيرةُ وما عليها؟

ماذا يضيرُكِ أن أسلخَ جلدكِ الآنَ أو أقطّعتكِ إلى ألفِ قطعةٍ ثم أشويكِ وأرميكِ

لكلابِ الشَّوارعِ؟

ألسِتِ ميَّنةً؟

أنتِ ميَّنةٌ.. ميم، ياء، تاء، تاء مربوطة

ميِّ تة

هل صعُبَ عليكِ أن تفهمي الكلمةَ

شُعْلي محكَّ قليلاً

أو انظري إليّ وستفهمين
الميت يشبهني كثيرًا، مثلي تمامًا
فاقد لأي إحساس.. حجرٌ
لا ينطق ولا يرى ولا يسمع ولا يشعر ولا يشم ولا يتذوق ولا يضحك ولا يبكي ولا
ينتحر ولا يأكل ولا يشرب ولا يسهز ولا يسكر ولا يكذب ولا يصدق ولا يصحو ولا
ينام ...

ناهيك عن أنّه يخلو من الحرارة
باردٌ مثل حطبةٍ، مثل قبرك هذا.
لا أفهم لماذا لا يُنشئون قبورًا تناسب الميتين أمثالنا!
بذمتك ودينك، هل هذا القبر الموحش هو ما تستحقينه بعد كل حياتك الحافلة يا
«محبّة»؟

كلّ الذين كتبوا عنك ونصّبوك فوق عرشك العالي
ماتوا ميتاتٍ أكرم من ميتتك هذه
على الأقل منهم من يرقد الآن في قبور خمس نجوم، مرفّهين، تركوك تسقطين هكذا
عن عرشك المذهّب، باعوك بأبخس ثمن وضحكوا عليك، بصراحة أنتِ خُدعتِ،
أعطوك خازوقًا، ويبدو أنّ القدر لم يجد غيري كي يقتص منهم فيك، أو يقتص
منك فيهم، أو يقتص منّي، أنا التّافه الواقف أمامك الآن
أهتر مثل نبتة في الرّيح
كلّما رفعت إليّ عينين ناعستين
وأتضاءل مثل فأرٍ
إن أنزلت جفنين
مُنديين بالدمع .

تصوّري أن تكوني ميّنةً
فيما الآخرون يدوسون على ترابٍ
كان في القديم أحدَ أعضائك
كان عظمةً من عظامك.. لسانك مثلاً، قلبك، شفتيك، نهدك
ساقك أو بطنك أو ظهرك أو عاتك، أيّ شيء منك، المهم أنّهم يدوسون عليه
بأحذيتهم الوسخة أو المدبّبة أو المفلطحة أو العالية ذات الكعوب المسنونة، حياةٌ
رخيصةٌ وتافهةٌ وأحقرٌ من وقفتي هذه أمامك
مُدّ جثتُ إلى هنا وأنا أفكّرُ أين سيدفنونني
هنا أم هناك
أين سيكون قبري؟
إن دفنتُ هنا سأكون بعيداً عن أمّي، وإن دفنتُ هناك سأكون بعيداً عن طفلي،
شيء بشعّ أن يموت المرء وهو لا يعرف أين سيكون مئاواه الأخيرُ
هل سألوك حين دفنوك هنا؟ رأيت، سفلةً، أولاد قحابٍ في الحقيقة، لو كانوا سألوك
لربّما اخترت مكاناً يليقُ بقبرك الأخير أفضل من هذا
عن نفسي
لم يسألني أحدٌ
وحتى لو سألني
ما كنتُ أعرفُ كيف سأجيبه
كنتُ أنامُ، وكلّ ليلةٍ أقيسُ المسافةَ بين قبري وبيتِ أمّي
وكلّ ليلةٍ تكبرُ المسافةُ يا «محبّة»
أضغُ طرف المقياس بيدٍ مرتعشةٍ على بابِ أمّي
وأشدهُ وأنا أسيرُ إلى بابِ قبري

وتكبرُ المسافة

في الحقيقة، لا أعرف إذا كانت المسافة هي التي تكبرُ، أم أنني أنا من يشيخُ، لذا
تعبتُ من حسابِ المسافاتِ، أرحتُ دماغي وقلتُ: ليكنُ ما يكونُ، أليس هذا أفضل
لماذا نحيي أنفسنا بالموت
ما دمنا أحياء؟

من "عشرُ طرقٍ للتَّنكيلِ بجُنَّة"

الطبعة الأولى: دار الآداب، بيروت، 2010

عن نفسي

لم أحاولُ أبداً فهمَ السّحرِ الغريبِ
الذي تمثُّله لي
الأشياءُ المفقودةُ
ما إن يضيعَ منِّي شيءٌ
حتى يأخذَ بُعداً أسطوريّاً
غامضاً
ومُريباً
لذلك - مثلاً -

كنتُ أعجزُ عن قولِ شيءٍ ذي قيمةٍ
في اللحظاتِ المصيريّةِ
لم أستطعُ قولَ أيِّ شيءٍ
كي أقنعَ الشّابةَ
التي اعتلتُ حاجزَ الجسرِ للتوّ
بأنّ الانتحارَ
ليس هو الحلُّ

لم أعرفُ كيفَ أمنعُ نظرتي من فضحِ نفسها
أمامَ مُصوّرٍ يُدبرني لقطتهُ المفضّلةُ: رِصاصةٌ تلمعُ
قبلَ أن تستقرَّ في صدرِ الصّحيّةِ
وقفتُ طويلاً حائرًا وأنا أسألُ نفسي:

كيف أفهمَ هذا الصَّبِيَّ المولودَ في خيمةٍ
بأنَّ الأرضَ ضيِّقةٌ فعلاً
ولا تتَّسعُ لبيتِ يؤيِّه؟
قُضبانُ نوافذِ السِّجَنِ نفسُها
أشعرْتُني بالهزيمةَ كاملةً
حينَ لم أعرفُ كيفَ أجعلُها تصدِّقُ
بأنَّ المساجينَ لم يكرهوها يوماً لذاتها
بل لأنَّها تصنعُ في النَّهارِ
خطوطاً طويلةً
فوقَ بلاطِ الزَّنازينِ
عرفتُ حينَها
أنَّ الكلمةَ فقيرةٌ
ولا تملكُ شيئاً تمنحُه للنَّاسِ
ماذا تستطيعُ الكلمةُ أن تفعلَ
كي تجعلَ هذه البنتَ الصَّغيرةَ تُصدِّقُ
أنَّ لها أباً
لكِنَّه ماتَ قبلَ أن تُولدَ؟
وماذا بوسعنا أن نفعلَ
أمامَ رسالةٍ منسِيَّةٍ كتبها يوماً محبُّ
ولم تصلْ وجهتها أبداً؟
لن نستطيعَ أن نمنعَ هذا الرَّجُلَ من ضربِ زوجتهِ كلَّ مساءٍ
وإفهامِهِ بأنَّ لا ذنبَ لها في عدمِ عثورهِ على عملٍ
حتَّى اليومِ
أو أخبرني أنتِ..
ماذا بوسعك أن تفعلَ أمامَ جهازِ عُرَيْسٍ
حُكِّمَ عليه بالبقاءِ محفوظاً في الصَّنَاديقِ إلى الأبدِ

خوفًا من رُطوبةِ الجداز؟
ماذا بوسعك أن تفعلَ
كي تُسكتَ أَيْنَ الطِّفلِ
الذي يبكي في سريرهِ كلَّ ليلةٍ
لأنَّ أسنانه اللبنيَّةَ تشقُّ لحمَ اللَّثةِ كي تَظَهَرَ؟
ليسَ في استطاعتِنَا أن نفعَلَ أيَّ شيءٍ أمامَ صورةٍ أخيرةٍ لشابَّةٍ
تبتسمُ لحبيبيها
قبلَ أنْ يجرِّقها القطارُ الذي يظهرُ في خلفيَّةِ الصُّورةِ
ولن نقدرَ
على منعِ هذا الجنديِّ من الوصولِ إلى بيتِ زميله في الثُّكنةِ
كي يُخبرَ أمَّهُ أنَّ ابنها ماتَ برصاصةٍ في الرَّأسِ
وسنقفُ عاجزينَ أمامَ دَفترِ شِعْرِ أكلتهُ الفئرانُ داخلَ بيتِ مهجورٍ
بالصَّبْطِ
كما نقفُ الآنَ
أمامَ هذا اليتيمِ
الذي تشدَّدَ في السَّوارِعِ
وحين يجوعُ
يجلسُ جليستَهُ هذهِ
أمامَ أيِّ مَطعمٍ
ناظرًا إلى النَّاسِ
كي يشبعُ.

* * *

لم يكن خطأ يا آدم

لو سألتني أحدٌ عن مَعْنَى كَلِمَةِ "فَنِّ" "

فسوف أُجِيبُ: "يَدُ أُمِّي وَهِيَ تَطْبُخُ"

ولو طُلِبَ مِنِّي أَنْ أَقُولَ شِعْرًا،

لرَفَعْتُ مِلْعَقَةً وَقُلْتُ: "تَذَوِّقْ."

أَوَّلُ رَائِحَةٍ عَلِقَتْ بِأَنْفِي فَصَرْتُ أَتَشَهَّاهَا مُذْ كُنْتُ طِفْلًا، كَانَتْ صَدْرَ أُمِّي، تَحْمَلُنِي عَلَى بَطْنِهَا بِيَدٍ، لَتَنْحِنِي قَاطِفَةً بِالْيَدِ الْأُخْرَى ثَمَّ الرِّطْمَاتِيمِ مِنْ أَرْضِ خَضْرَاءَ فِي ظَهِيرَةِ مُشْمِسِيَّةٍ، كَانَتْ تَقِينِي حَرَّ الشَّمْسِ بِطَرَحَتِهَا الْمَفْرُودَةِ عَلَى رَأْسِي، وَأَنْفِي يَتَشَمَّمُ فِي الظِّلِّ رَائِحَةَ حُلْوَةٍ لِثَمَرٍ يَانِعِ

اليَوْمِ، وَأَيْنَمَا كُنْتُ، لَا أَتَنْظُرُ الْعُودَةَ إِلَى الْبَيْتِ حَتَّى أَفْتَحَ كَيْسَ الرِّطْمَاتِيمِ أَوْ عُلبَتَهُ بَعْدَ خُرُوجِي مِنْ أَيِّ سَوْبَرٍ مَارَكْتُ، أَتَنَاوَلُ عُنُقُودَ الثَّمَرِ وَأَتَشَمَّمُ الرَّائِحَةَ، وَحِينَ أَجِدُهَا غَامِرَةً أَعْمُضُ عَيْنِي وَأَنَا أَتَنْقَسُهَا طَوِيلًا. وَحِينَ لَا أَجِدُهَا، أَلْعُنُ التَّمَدَّنَ الَّذِي أَوْصَلَنَا إِلَى ثَمَرٍ بِلَا طَعْمٍ وَلَا رَائِحَةٍ.

صَرْتُ الْيَوْمَ حِينَ أَتَعَبُ، أَعْمُضُ عَيْنِي وَأَعُودُ إِلَى مَشْهَدٍ بَعِيدٍ، أَفْتَحُ فِيهِ عَيْنِي طِفْلًا فِي الثَّامَنَةِ أَوْ التَّاسِعَةِ، عَلَى نُورِ فَجْرِ مُضَبَّبٍ فِي قَرْيَةٍ بَعِيدَةٍ، حَيْثُ لَمْ تُشْرِقِ الشَّمْسُ بَعْدُ

إحدى خالتي تفتح باب الدار الخشبي الكبير، فيصُرُّ الباب مع تحرك ثقله على مِفْصَلَيْهِ الحديديَّةِ الصَّديَّةِ، وخالتهُ أخرى تَكْنِسُ حَصِيرَةَ القَسِّ المفرودة على الأرض في بهو الدار، وثالثة تُشْعِلُ «الْمَنْقَدَ» قبل أن تحملهُ بين يديها، مُبْعَدَةً وجهها إلى أقصى درجة كي لا يطولها اللهب، لتضعهُ في مُنتَصِفِ الحَصِيرَةِ بعد أن كُنِسَتْ

أقاومُ كَسَلِي مُستجيبًا لنداءاتِ خالتي لأننا «بقينا الضُّهر»

فأهرَعُ زحفاً من السَّريِرِ لأجلس قُرْبَ النَّارِ، علَّ الدَّفءَ يوقظني.

هكذا أفهمُ اليومَ مَعْنَى كَلِمَةِ "العُرْبَةُ"، المَسَافَةُ بَيْنَ مَكَانِي الآنَ وَبَيْنَ هَذَا المَشْهَدِ، لَهَا طَعْمٌ مُرٌّ لَا يَلْخُصُهُ سِوَى هَذِهِ الكَلِمَةِ

في فيلم "عَرَقِ البَلْحِ" ثَمَّةَ جُمْلَةٍ مَبْحُوحَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ امْرَأَةٍ قَبْلَ الأَعْيَنِةِ السَّهِيرَةِ وهيَ تقولُ: "نُوحُ يا عَرَابُ عِ اللِّي قَتَلْتَهُ العُرْبَةُ... نُوحُ يا عَرَابُ عِ اللِّي قَتَلْتَهُ العُرْبَةُ"، حِينَ سَمِعْتُهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ إِزْتَجَفْتُ، الصُّورَةُ وَحَدَّهَا مُوجِعَةً، لَكِنْ أَلْمَنِي أَكْثَرَ هَذَا التَّشَابُهِ العَرِيبِ بَيْنَ كَلِمَتِي "عَرَابٍ" ... و"عُرْبَةُ"

مُنْذُ سِتَّةِ عَشَرَ عَامًا وَأنا هُنَا، قَلْتُ لِيكُنْ، كما مَدَّتْ جُدُورِي بِلَا مَسِيئَةٍ مِنِّي هُنَاكَ، أَمْدُهَا هُنَا بِمَسِيئَتِي، وَكانَ أَنْ بَقَيْتُ، أُرَواحُ أَحْيَانًا بَيْنَ المِطَارَاتِ وَالمُدُنِ، لَكِنَّ ظَهْرِي مَسْنُودٌ إِلى مَكَانٍ بَعِيدٍ، بَيْتِي الَّذِي لَا يَزَالُ هُنَاكَ، الجُدُورُ الحَيَّةُ الَّتِي تَرَكَتْهَا حَلْفِي، أَنْتَمِي إِلَيْهَا وَتَنْتَمِي لِي

العُرْبَةُ دَاخِلِنَا جَمِيعًا، سِوَاءَ بَقِينَا فِي أَمَاكِينِنَا أَوْ عَادَرْنَاها، لَطالَمَا سَبَّهْتُ المُدْنَ بِالنِّسَاءِ، ثَمَّةَ مُدْنٍ بَارِدَةٌ مَهْمًا كَانَتْ جَمِيلَةً، وَثَمَّةَ مُدْنٍ تُوقِعُكَ فِي غَرَامِها هَكَذا دُونَ أَنْ تَفْهَمَ السَّبَبَ، لِذَا آمَنْتُ بِأَنَّ المَكَانَ دُونَ أَهْلِهِ لَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ، تَتَحَوَّلُ دُونَهُمُ الجُدْرانُ إِلى حَرَابٍ

فِي يَوْمٍ ما، أَمْرُنَا، نَحْنُ الأَطْفالُ، يَجْلِبُ جِوَالٍ صَغِيرٍ مِنَ الكُتُبِ القَدِيمَةِ مِنْ سَطْحِ الدَّارِ إِلى حَالِنِنَا أَمَامَ الفُرْنِ، كَانَتْ كُتُبًا وَكَرَّارِيسَ مُمَرَّقَةٍ أَوْ تَالِفَةٍ، فَتَحْنَا الجِوَالَ أَمَامَ

يَدِي خَالَتِي فَبَدَأْتُ تَتَنَاوَلُ الْوَرَقَ وَتَدْفَعُهُ إِلَى النَّيْرَانِ، حِينَهَا سَقَطْتُ بَيْنَ يَدَيَّ فَيَسِيلُهُ
مُتَبَقِّيَةً مِنْ كِتَابٍ، أَذْكَرُ حَتَّى الْيَوْمِ الطَّبَاعَةَ الْفَاحِزَةَ لِلْوَرَقِ الْمُلَوَّنِ الْمَصْقُولِ، كَانَتْ
الْقِصَّةُ مَبْتُورَةً وَتَعْلُو كُلَّ صَفْحَةٍ رَسْمَةٌ لِنَبْتَةٍ مَا، قَرَأْتُ وَلَمْ أَفْهَمْ، كَانَ هُنَاكَ جُزْءٌ
سَابِقٌ مَفْقُودٌ وَجُزْءٌ لَاحِقٌ لَا وُجُودَ لَهُ، وَالْحِكَايَةُ عَنِ شَجَرَةٍ غَامِضَةٍ نَبَتَتْ فِي غَيْطِ
فَلَّاحٍ، فَكَانَتْ لِدَهْشَتِهِ تُنْبِتُ كُلَّ أَنْوَاعِ الثَّمَارِ؛ الطَّمَاطِمِ وَالتُّفَاحِ، الْبَاذِنَجَانَ وَالْمَانِجُو،
وَالْفَمْحَ وَالذَّرَّةَ فِي الْعُصَنِ الْمَجَاوِرِ لِلرُّمَّانِ وَالْعِنَبِ

لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ حِينَهَا، أَنَّ هَذِهِ الْفَسِيلَةَ سَتَكُونُ كَنْزِي الَّذِي سَأَحْتَفِظُ بِهِ فِي مُخَيَّلَتِي
حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا، مِنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ رُبَطَ عَقْلِي بِشَكْلِ لَا وَاغَ بَيْنَ الْكُتُبِ وَفِكْرَةِ
التُّقْصَانِ، صَارَ كُلُّ كِتَابٍ نَاقِصًا حَتَّى لَوْ اكْتَمَلَ، وَكُلُّ قِصَّةٍ مَبْتُورَةٌ حَتَّى وَلَوْ رُويَتْ.
وَحَتَّى الْيَوْمِ، مَا زِلْتُ أبحثُ عَنِ الْجُزْءِ الْمَفْقُودِ مِنَ الْكِتَابِ، وَأَكْتُبُ كَمَنْ يَرْمِمُ حِكَايَةَ
نَاقِصَةً قَبْلَ أَنْ تَأْكُلَهَا النَّيْرَانُ

فِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ شَعَرْتُ أَنَّ الْوُجُودَ الَّذِي صَنَعْتُهُ هُنَا سَيَبْقَى طَارِئًا وَلَوْ إِلَى حِينٍ،
يَوْمًا مَا سَاعُودُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي غَادَرْتُهُ صَغِيرًا، حَيْثُ لَا شَيْءَ لَهُ مَعْنَى دُونَ "أَهْلٍ".

فِي رَوَايَتِهَا الْأَخِيرَةِ "عَشْرُ دَقَائِقَ وَثَمَانٌ وَثَلَاثُونَ ثَانِيَةً فِي هَذَا الْعَالَمِ الْغَرِيبِ"، تُفَرِّقُ
إِلَيْفَ شَفَقِ بَيْنَ عَائِلَةِ الدَّمِ وَعَائِلَةِ الْمَاءِ، الدَّمُ هُوَ أَهْلُنَا الَّذِينَ لَمْ نُحْتَرَهُمْ، وَالْمَاءُ
عَائِلَتُنَا الَّتِي كَوَّنَاهَا مِنْ أَصْدِقَائِنَا، حَصَادِنَا مِنَ الْحَيَاةِ

حَاولْتُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ أَنْ أزرَعَ شَجَرًا فِي بَيْتِي وَيَمُوتُ، وَكَلَّمَا مَاتَتْ شَجَرَةٌ زَرَعْتُ
غَيْرَهَا، حَتَّى أَيقِنْتُ أَنَّ شَمْسَ الشَّمَالِ لَيْسَتْ شَمْسَ الْجَنُوبِ، فَبَدَأْتُ أزرعُ الْمَزِيدَ
مِنْ أَشْجَارِ وَنَبَاتِ الظِّلِّ. وَلَمْ أَسْتَسَلِّمْ، كَلَّمَا أَعْلَنْتُ نَبْتَةَ الْجَارْدِينِيَا عَنْ وَرْدَةٍ جَدِيدَةٍ،
نَظَرْتُ شَاكِرًا إِلَى يَدَيَّ

يَسْأَلُنِي ابْنِي: "لَوْ حُيِّرْتَ.. فَأَيَّنَ تَعِيَشَ؟"، وَقَبْلَ أَنْ أَفَكِّرَ فِي إِجَابَةٍ، تَمَلَّأُ أَنْفِي رَائِحَةَ
ثَمْرِ الطَّمَاطِمِ الْمَقْطُوفِ لِلتَّوِّ، وَأَسْمَعُ صَدْرَ أُمِّي يعلو وَيَهْبُطُ وَأَنَا نَائِمٌ عَلَى كَتِفِهَا

45 عامًا، بنيتُ بيتًا وزرعتُ شجرةً وأنجبتُ صبيّين ولويتُ لِساني، وسنةً بعدَ أُخرى
كنتُ أفعلُ ما يجبُ عليّ فَعَلَهُ، لِيَتَّسَعَ الْبَيْتُ وَتُثْمَرَ الشَّجَرَةُ وَيَشْتَدَّ عَوْدُهُمَا، حَتَّى
صَارَ بِإِمْكَانِي أَنْ أَضَعَّ ذِرَاعِيَّ عَلَى كِتْفَيْهِمَا وَنَحْنُ نَسِيرُ، أَوْ أَطْلُبُ ثَمْرَةً مِنْ الشَّجَرَةِ،
فِيَلْتَقِطُهَا آدَمُ وَيَمْنَحُهَا لِي وَهُوَ يَغْمُزُنِي: "هَذِهِ لَيْسَتْ تَفَاحَةً يَا أَبِي.."

الخروجُ مِنَ الْجَنَّةِ لَمْ يَكُنْ خَطَا يَا آدَمُ، بَلْ سَبَبًا فِي التَّجْرِبَةِ

هَكَذَا أَفَكَّرُ

وَأَنَا أَفْتَحُ بَابَ بَيْتِي هُنَا

لَأَزِيلَ ثَلُوجَ الشِّتَاءِ

فَأَجِزُ إِلَى دَفءِ صَبَاحٍ بَعِيدٍ، كَأَن يَتَسَرَّبُ إِلَى جَسَدِي بِمَجَرَّدِ أَنْ أَفْتَحَ أَصَابِعِي

فَوْقَ اللَّهَبِ.

سبتمبر 2020



مقالات وآراء

161

العدد الرقمي 4

الحركة الشعرية

تأملات للجمالي في كتابة عمار شرف الدين

والكون شاحب

مقطوعات في الضجر والبلية حين تضحك علينا

أيوب خاطر

بدءاً بالكتابة عنك وأنت مبوبٌ، ومُحكّمٌ بغلافٍ، احتجتُ كثيراً. احتجتُ أن أفرغ
للصمت حيناً حتى أظل حول مدارات حرفك الحالم، المعاند والمبتهج رغم حلقة
الظروف. احتجتُ (حوتة) وتلك اللحظة الهنية في قراءتك، احتجتُ كامل الحنان لا
لكي أفهم أينك في الضجر أو سخريتك في البلية يا "مُبتلى".

احتجتُ لهذه المسافة التي تفصل الصداقة بعد تجريد المسافة للحكي، للسرد
ومشاركة الولادة، من العقلاني، والشاعري، والمدهش فيك وفي نظمك. تعرف أين
الحضور؛ تعرفه عندما يصدق محمود:

"خلاص غيرتي أحوالي"

من هنا عليّ أن أتخلص من محمود، من الذي جمعنا يا صديقي، من الصحبة
وشراكها التي تفضي إلى المجاملة، من الحركة وحاجة الشعر لها، ولندخل إلى الغد
واثقين. في تقديمك للعام وأنت مُحْتَفَى بك ونحن فرحون، فرحٌ حذر، لكنه حقيقي
رغم الهواجس؛ دعنا ندخل علّنا نجد الجواب عبر محمود من جديد عندما يصدق:

“ما نحن الفينا مكفيننا،

لا بنقدر انحننا على الهجران..

لا بنرضى كمان زعلك وجفاك”.

هكذا نحاول أن نتلمسك “يا زول يا طيب...”

كلمات حول ضجر بما يكفي

ثقيلة هي الكتابة خصوصاً حين يتعلق الأمر بالشعر؛ وتزداد حلقة الأشياء تعتيماً عندما يتعلق الأمر بكتابة لعمار شرف الدين. يصادف أن تجرفك المسافة، قساوة ووحشة الواقع بعيداً عن التزامك، ويصادف أن يلهمك حرفاً طالما سعدت به، فرحاً بأن تحنفي وتلتفت للجمالي في أزمنة الرعب. هذا ما يلهمني صديقي عمار به دائماً وأبداً، سمة غالبية في كثير من حروفه الصادقة.

ومن كثرة تعدد مستويات الضجر ودلالته التي لا تنضب، أحاول الإلمام ببعض النور وضوء “الرتاين” في شعرك. كل قصيدة في الصرحين اللذين بين يديّ كشفٌ وبصيرة، ولو صرحتُ بالإحاطة والشمول للدلالات، أو التشبيهات، أو الخيالي في قصيدتك لكذبت؛ لا لعجز في خيالي وإنما لامتداد حرفك اللانهائي. لذا من المدهش أن أعتصر أفكارى المضنية في بعض رحيقك.

كما أن هنالك الكثير في نفحات رقيق قصائدك يفتح للروح ألطف دهشة وهي صامتة، مرعوبة من صدمة الموت والعواصف. إن الجزء من حروفك يكف العين، يكف أنين التساؤل والتأمل، كما أنه يشجي الأذن ويفتح للبصيرة كوة؛ لذا فإن اقتطاع نماذج من ديوانك وتطبيق بعض التقنيات والخواطر عليه لا يضر ولا ينقص من بقية الحروف شيئاً. كانت فكرة أن أصبغ بعض قصائدك بهذه القراءات تخفف عني ثقل ألا أتحدث عنك تفصيلاً. وتنبيه أخير قبل الدخول؛ هذه المقطوعات ليست سوى امتداد، وربما تضيء بعض الوهج الذي صبغ كل قصائد الديوان.

ماذا فعل عمار بالضجر؟

يقول جيرار جينيت: “السرد يقول دائماً أقل مما يعرف، لكنه يكشف في كثير من الأحيان أكثر مما يقول” [١]. من هذه الجملة المفتاحية -والتي أتفق معها إلى حد ما إذا كان الأمر يتعلق بالرواية- أنطلق. لكننا في وحي الشعر وموسيقى أنامل صادقة

وممتحنة، لذا أقول دون حذر، دون خوف، بل وبصدق لا تشوبه العواطف: في الضجر الذي نثره صديقي النحيل، سرِّدٌ يقول أكثر مما يعرف، يعتصر الخيالي، ويقدمه لك مائدةً ومعها شرابها. ألم يقل في ختام قصيدة: (.....)

“هذا اللحم طازج ويُعْتَي

ماء هذه الأعين عذبةً ونقية

هذا الدم (مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرَابٌ.”)

هكذا تمزق بثبات لينتج كل هذا الضجر. والضجر أشكاله عديدة في حروف صديقي. تتلمس أيّ قصيدة وأنت تتناهد في ملازمة روحية للقراءة، تنسى التزامه وصرامته وتعدد حرفه، تصير أنت الملازم للنص. هذه سمة نادرة عندما تنقلها من الرواية - مثلاً- للشعر الحر بالتخصيص. كأنما بعد كل هذا الجهد المضني يهديك إليه دون امتنان، وهذا ما يجعل الأصالة والانتماء حاضرين، ولو نفيًا ولو نزفًا، ولو تضحيةً وصلبًا.

إليك أيها القارئ، حتى لا نعقد الأمور أكثر، خذ بساطة وأصالة هذه المقطوعة الموسيقية من قصيدة: (.....)

“كلما أطقق في حافلة

الوجود

يصير جانب الطريق مزدحمًا

أحدهم يمتلك شرفة

فوق رأسي

عند كل خروج للحياة

يدلق ماء غسيله عليّ”

هنا ضجر يفضي إلى النزول ولو إلى هاوية، ضجر يستسلم للبؤس ولكن حينه للرصيف، للطريق المزدحم، للمارة وربما لطيف خيال زارنا سويًا ومضى. إصراره للخروج أيضاً يعكس كم هو مقدار الصبر والمجادة ومشهد الصخرة المكور في أسطورة سيزيف.. أو دعك عن هذا النوع الصارخ من الضجر وتعال لننهل من نبع شكل آخر أخف حدة وهو ينشد:

“أحدهم استيقظ
أحدهم أغمضوا عينيه للمرة الأخيرة
أحدهم في غرفة إضاءة خافتة
يد حريرية تزيح عنه ملابسه
كما يزيح الإصصار كومة تراب
وأحدهم أيضاً يد مرتجفة تجرده
من ملبسه تجهيزاً لدخوله حضانة البرزخ”

التعدد للذات وللآخر وللحالة اعتصرها في هذه القصيدة؛ حركة تصحبها موسيقى جميلة عندما تتخيل (اليد الحريرية)، وانتقال لضجر أشد فتكاً وكآبة عندما تحرر كلمة (البرزخ) من حقلها المعجمي لحقلها الدلالي لتأتيك صديقات الكلمة (السرمد، الأبدية، العدم والجب... إلخ). وعنصر المفارقة هذا حاضر في كثير من قصائده وملازم لأسلوبه.

وأي صحو ينبهك به عمار عندما يغلق هذه القصيدة! تنبهاً للاستمرار، لمحبة الحياة وتبجيلها هي والموت معاً عندما يكونان عقدة الآدمي في بحثه الدائم عن الخلود. يحيا ولا يربعه السؤال، يقول:

“هؤلاء يستيقظون كل صباح من أطرافي يستحمون يجهزون الإفطار والحلويات يبدؤون يومهم بكل سلاسة وسيولة ثم ينصهرون كل مرة في قصة جديدة كل مرة في موتٍ جديد ثم كل مرة بموتٍ جديد”

ولكي أعالج موضوع الضجر وأمنحه دلالات إضافية، بالضرورة يتحتم عليّ أن أضيء شكلاً أخيراً من أشكاله بينما أنا أحاول الانتقال إلى “البلية” عندما تضحك علينا. النوع الأخير الذي أريد الإشارة إليه من الضجر هو الذي يعالج موضوع الزمن في القصيدة وعلاقته بالضجر والاستياء. ويمكنني أن أسميه “الضجر المفضي إلى أرق”، وكيف يعالجه عمار حرفاً فحرفاً ونزفاً فنزفاً بيد الحظ والموهبة كما يقول محمود درويش [٢].

تتناثر في عمق الضجر مشاعر الشغب والتمرد والاحتجاج على محنة الإنسان، يُظهر ترده الحذر وهو يتغنى:

“أقفز لا أقفز

رأسان في جثتي يختصمان”

والقرآن يحضر ببلاغته في كثير من آياته إشارة لنبع التصوف الذي نهل منه صديقي عبر وداعة تلك القرية مع النيل الأبيض، والتي رغم أنني لم أزرها إلا أنني تصورتها كثيراً؛ لا في النصوص وإنما بحظ الصحبة والمؤانسة والسفر. ويا لحسن حظكم إذا ما نهلتم مثلي وهو ملتاع هارب من الضجر بالحرف وتجميل المفردات ومنحها جزءاً من جسده وروحه اللواعة كما تتغنى “معلومة:

“كيف يهوي شاعرٌ إلى النوم قصائد مشاغبة دلالات قاتلة وجدان معذب وقلب على كل سلةٍ مهملات دعك من هذا كيف أهوي إلى النوم رجل صغير على رأسي شاعر متيم ووجهك دائماً على مدى رؤيته”

(كلمات كيلا تضحك البلية علينا)

“الكلمة كلب لا ينبح” [٣]، هكذا يعتقد رولان بارت الفيلسوف الفرنسي المعروف، في بحثه عن العلامات اللغوية. من هنا أجد مفتاح حديثي عن قصائد (البلية تضحك عليّ) المليء بالصدق والعجائبية في آن واحد. واثقاً أحزف مقولة “الجواب يكفيك عنوانه” إلى “الديوان يكفيك عنوانه”.

هذا الديوان بالذات انصهرت مواضيعه مع عنوانه. كل شيء معكوس، ولكن للعقلانية حضور كثيف وللسخرية حضور طفيف، يتسرب حتى دون أن تحس به، تتسحب الأشياء كما يتسحب عمار من حفل ساهر. كما أن ما يجعل المتعة والدهشة في كل هذه المفارقات التي صبغت قصائد هذا الديوان، هو أن هناك تجاوزاً للبشري نحو الطبيعة وأشياء الكون واستنطاقاً لما هو جميل وعادي أيضاً خارج الإنسان؛ لذا تجد معظم عناوين القصائد ترتبط بالأشياء والطبيعة مثل (ساعة الخوف، استقالة، أقلام رصاص، شجرة تحترق... إلخ). أو لأن أكثر دقة، ف”البلية تضحك عليّ” هي محاولة من صديقي لاستثمار صمت البشري بكامل طيشه وحكمته لصالح استنطاق الكون بتعددته الثر.

هنا نسخة أخرى من تعدد عمار هرباً من الضجر، وعكس للأشياء عبر التساؤل وتحريف الدهشة أيضاً، وفتحها للمركون والمهمل رغم أهميته، فهل يفرح لاختراق

شجرة سوى من نزع الرب عنه عدم فهم دهشة الاخضرار؟ المفارقة أكثف في "البلية تضحك علي" مع الاحتفاظ بالأسلوب، تلك الصبغة الخفيفة التي يتجلى بها عمار في صناعة نصوصه، ذلك الانتباه عند خلق الشعر[٤] للإحكام العقلي دون الإخلال بموسيقى الوحي، أو دقة الوصف، أضف لذلك فتحه للبلاغة والصخب معاً، وكل ذلك بحرية -وهي شرط القصيدة الحديثة هي والصدق. وما سيجعل الأمر سلساً وسهلاً هو أن الشكل الغالب على قصائد الديوان هو نفحة الشذرات. يقول:

“أطفئ وجهي لأنام

في العُرْفَة

أَظْفِيءُ وَجْهَكَ لِأَنَامٍ!

في الطَّرِيقِ

وَجْهَكَ عَلَامَةً تَوَقَّفُ مُرُورِيَةً

دُونَ كِتَابَةٍ!

**

وَجْهَكَ أَيضاً

“يُحَقِّظُ فِي مَكَانٍ بَارِدٍ”

إِذَا ضَعِيهِ عَلَى صَدْرِي

في النهار آخُذُ “حِصَصَ تَرْكِيذٍ”

في وَجْهِكَ

أَمَّا فِي اللَّيْلِ أَمْتَحَنُ!”

منذ بداية النص عكسُ للأشياء عبر الكلمة، بعيداً عن كون وجه الحبيبة نوراً؛ حنية التشبيه تدعوك لملازمة النص. وكي لا تتحرك ففي الطريق أيضاً شِراك، نور الإطلالة لها يستمر ليتحول لعلامة مرور؛ يا للإصرار، يا للدهشة! وكل ذلك يمر عبر قلب صديقي، قلبه الرهيف رغم التجمد والبرودة يحاول الإغواء. في الضوء وإطلالة طيفك في النهارات ينتشي عبر التركيز، وفي الليل يتبعثر، يتلى... جميعنا كذلك!

دعك عنها وعن حساسية رعشة الحب، فليس محبباً من يبحث عن المحبوب خارجه كما يقول عمار. تعال لنختبر الضوء الخالص ونتجاوز مشاعرنا الحبيبة في فيضان

أنيه ليشمل المصايح الحقيقية لا وجوه النساء وأطياهن. في هذه المقطوعة تفيض حساسيته لتنتقل للأشياء، للمصايح وهي تيرنا، وللجداول وهي تشجينا بخيرها دون أن ننصت، دون أن نلتفت يا لبعثرتنا:

“تخطر ببالي المصايح على الطريق

تنام بالنهار لِتُجْهَد الليل كله

وعلى عاتقها صد العتمة

تخطر ببالي الجداول

تثرثر دون توقف

دون أن ينصت

أو يهتم لحديثها أحد”

...وبينما نحن غارقون في تجاهل الكون حتى للماء، للحياة التي يمنحنا شذوها وبلسم الريق من الجداول وعذوبتها؛ تنجينا حروفه كأنه يمنحنا الرضا عبر أصوات المدينة (هكذا الدنيا كدة! كدة)، والشعر وحده فارس صد العتمة.

لنعد للنهار، للصبح ونترك المصايح. نتلمس تجربة أخرى في (استيقاظ). أربعة تحف صغيرة لوشي حر تدفق من شاعرنا هنا، تحفة أولى عتبه للنص تفتح أسئلة عدة بجانب حوار مع الأشياء بدءاً من تأمر الجدران، تأتيك رنة الوحدة والعزلة التي تحولت منه للجدران وهو خارج للحرية، أو ربما للتنفس... تنتقل بيسر -دائماً ما كان سمة لشعر عمار- إلى تحفة أخرى أقل إيجازاً وكثيفة بالمعنى، يسمع الطرق ويتمنى خروج قلبه، لأن الأصوات الداخلية أشد إيلاماً من تلك التي تأتي من الخارج، صديقي إناء مكسور.. يستمر الإيجاز وتتدفق معه حكمته في المقطوعة الثالثة: صرير السرير، وأصوات غريبة من الملاءة، باختصار كل شيء حوله يصرخ وكل ذلك في الظلام الدامس، في الأرق. كل ذلك يحدث في سطرين وما لم ينطق به شربته الأشباح. وينجو كالعادة في خاتمة النص، متنفساً هو والصبح وحتى الوسادة، يا لمعارك الليل، يا لحكمة كافكا عندما قال: “ما يزال الليل ليلاً أكثر من اللازم.”

استيقاظ:

الجدران الأربعة

تتأمر عليّ
حين أخرج من الغرفة
تصاب الجدران بالإحباط
على من إذًا تَضيق؟

**

أسمع الطرق على الباب
لكنني أفتح قلبي
أتمنى أن يخرج

**

السريـر يَصْر و الملاءة تصدر صوتًا
في الغرفة كل شيءٍ يصرخ معي

**

لا يتنفس الصبح وحده
حينما يأتي الصباح
حتى وسادتي تتنفس
حينما تنتهي معركة الليل

**

هل تتوقف دلالات حروفه لتقف عند الليل وإحنه التي لا تنتهي؟ لا، ينتقل بك الأمر
عبر اللغة لعوالم أكثر وحشة وأسى ولكن بتكنيك مختلف هذه المرة؛ هرباً من
الاستعانة بالأساطير، بالظل -مثلاً- كما يفعل شعراء القصيدة الحديثة، إلى الاشتباك
الفعلي مع الأشياء وما هو خارج الذات، خلقاً وتوليداً للنص. نقرأ في وحشة هذه
المواجهة بين الشاعر والعالم الخارجي، مواجهة تخصص موضوعها عن البرد
تجريباً:

“هدول الجميع
وتركوه وحيداً بالشوارع
يصفعُ البرد النوافذ والأبواب

هو أيضاً يريد الدخول للغرفة
شعرت بالبرد في عظامي
عرفت أنه فقط
يُريد أن يخبرني عن حاله
في الفيافي
يُصدِرُ البرد صافرات استغاثة
ويُهزِّول بلا توقف
آآه من الوحشة
تلك التي تجعله
يستلقى بأحضان الجميع”

ختاماً، وأنا أحياناً يجرفني الشعر للصمت، للهدوء والتأمل، لا أنسى إضافة ملاحظة أخيرة وهي كثافة الوصف ودقة التشبيه التي صاحبت معظم قصائد الديوانين. ولأن أي نص يعبر عن قوته أو ضعفه من بنيته الداخلية، أترك ثرثرتي وأدعو نفسي وإياكم للإنصات، للتأمل والفرح، وقبل كل ذلك التساؤل اليقظ والعتاب، للنفس وللكون الذي عاملنا أشياءه كمقتنيات كما ستقرأون.

الهوامش

- ١ / جيرار جينيت، كتاب (الأشكال)
- ٢ / قصيدة محمود درويش (لاعب النرد)
- ٣ / رولان بارت، فيلسوف وأديب فرنسي.
- ٤ / معاوية محمد نور، بتصرف؛ حيث المقولة تعود إليه عندما قال: الشعر وحي وإلهام ولكنه في ذات الوقت إحكام عقلي.



فهرس المحتويات

ص	العنوان	الاسم
4	مَن؟	قيصر عفيف
8	شظايا شعرية	م علاء الدين عبد المولى
12	قصائد	ناريمان حسن
25	قصائد	أمل عمر
33	يوميات	محمد طيب شلار
42	قصيدة	كارلوس الباشا
46	خصال الماء صيد النسائم	بدر سيف
50	يدسّ في جلدي كأسا من الرغبة	هند زيتوني
53	يكاد يظأ بقدميه الأرض	خالد أبو العلا
57	المطر كلمة عسيرة	عبد الهادي سعدون
61	قصيدتان	محمود نقشو
65	سبع قصائد	أحمد حافظ
71	العلی	محمود شريح
74	الفيزياء الكمية لشاي النعناع	محمد حسني عليوه
79	قصيدتان	نور الموصللي
82	رماد في الصدر	ميرين أغور ميابي ترجمة: عبد الهادي سعدون
88	يا لعمق المقبرة	فراس حج محمد
89	ملف العدد الشاعر عماد فؤاد	
162	تأملات للجمالي في كتابة عمار شرف الدين	أيوب خاطر